الإمـــارات
THE EMIRATES

مُـــراوِد

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

العدد 41 – أبريل 2022، السنة السادسة

سلطان القاسمي يفتتح حي الحصن التراثي بكلباء

ملف العدد

المشروعات التراثية في المناطق الوسطى والشرقية تستعيد ألق الماضي

عبدالعزيز المسلّم يسرد تجربته مع الكتابة في معرض لندن الدولي للكتاب

300 ألف زائر في ختام «أيام الشارقة التراثية» في دورتها الـ 19

مُـــراوِد العدد 41 – أبريل 2022، السنة السادسة

MARAWED Issue, 41, (APR 2022), The Sixth year

MARAWED

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

Issue, 41, (APR 2022), The Sixth year

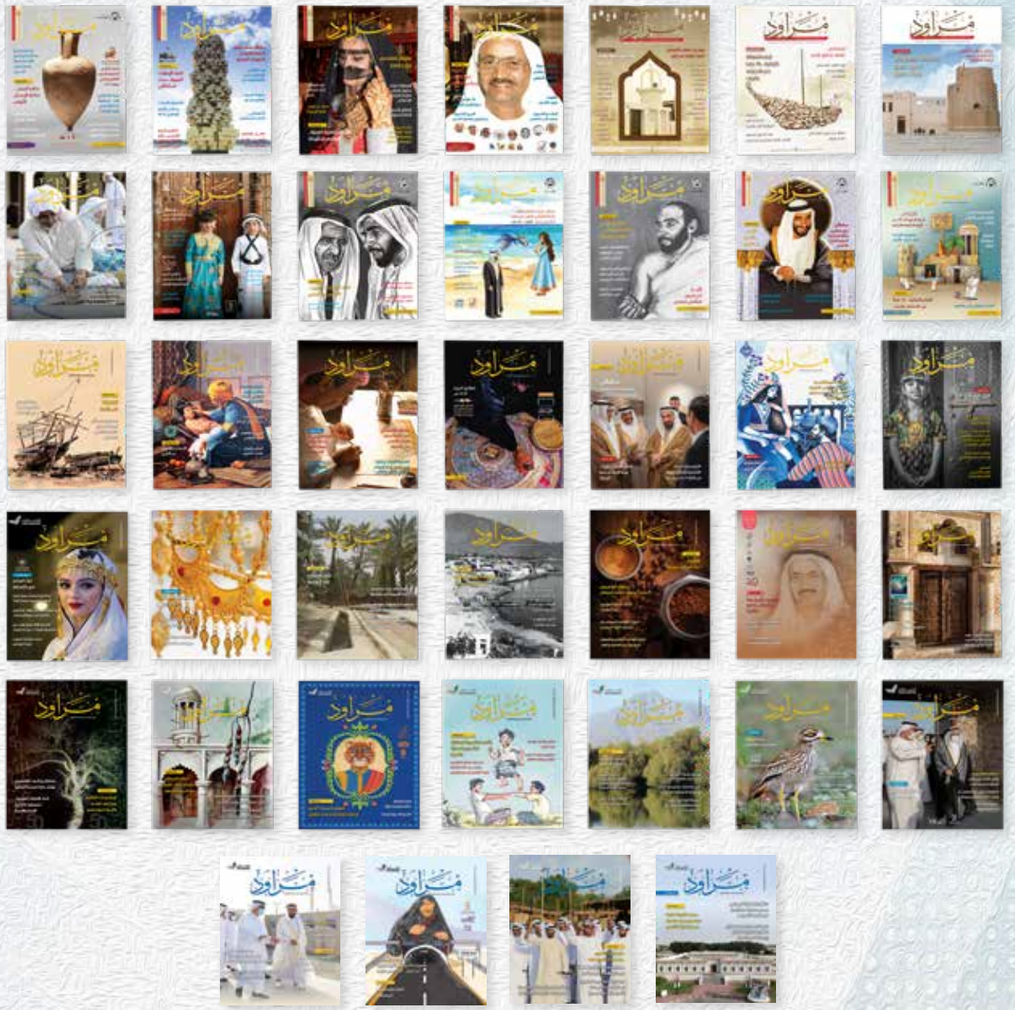

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

معهد الشارقة للتراث
Sharjah Institute for Heritage

إدارة المحتوى والنشر
Content and Publishing Department

عام الخمسين
YEAR OF THE FIFTIETH
50
1971 UAE

سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

ويشترط في المواد المقدّمة للنشر:

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: marawed@sih.gov.ae

للتواصل مع إدارة التحرير:

0097165014898 - 00971567927270

marawed@sih.gov.ae

مراود

ذاكرة الشارقة ومعالمها

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

تنعم إمارة الشارقة بوفرة المواقع التاريخية، والبيوت التراثية، التي تختزن ذاكرة المكان، وتاريخه الموغل في القدم، وتراثه العريق الزاخر بالغنى والتنوّع. وقد عكف معهد الشارقة للتراث على ترميم المعالم التاريخية، والمباني التراثية، تنفيذاً للتوجيهات السامية من صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله، والرامية إلى المحافظة على المباني التاريخية، والمواقع التراثية، وإحيائها، من خلال أعمال الحماية والترميم التي طالت معالم الإمارة، وبيوتها التراثية، وأسواقها الشعبية، ومساجدها، ومدارسها. وكان البدء بحماية وترميم الشارقة القديمة وبيوتها وحصونها وأسواقها ومتاحفها، وشملت أعمال الترميم: «البيت الغربي، بيت السركال، بيت النابودة، حصن الشارقة، سوق العرصة، سوق الشناصية، سوق التمر، سوق صقر»، بالإضافة إلى المساجد والمدارس التي كانت - ولاتزال - في عمومها تحتفظ في أزقتها وبين جنباتها برائحة التراث الأصيل، كما تمثّل وجدان السكان الذين عاشوا في المنطقة التي احتضنت طفولتهم ونشأتهم الأولى.

المرحلة التالية من مشروعات الترميم والصيانة، شملت معالم ومباني في المنطقة الوسطى والشرقية، (الذيد، فلي، كلباء، خورفكان)، حيث تم ترميم حصن الذيد، وفلي، وحصن كلباء وبيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي، وحي الحصن التراثي، وبعض المباني التراثية، ضمن مشروع خور كلباء، كما تم ترميم البيوت التراثية في خورفكان، ضمن مشروع المنطقة التراثية، بالإضافة إلى حارة السدرة بمنطقة اللؤلؤية.

في هذا العدد من مجلة مراود، نقدّم للقارئ الكريم صورة متكاملة عن المشروعات التراثية الكبرى، التي نفذها المعهد، برعاية ودعم صاحب السموّ حاكم الشارقة في المناطق الوسطى والشرقية، وإبراز دورها في إحياء المكان وذاكرته الممتدة.

ويشتمل العدد كذلك على مقالات ومقاربات تراثية وثقافية متنوّعة، تقدّم للقرّاء المتعة والفائدة.

صدر حديثاً

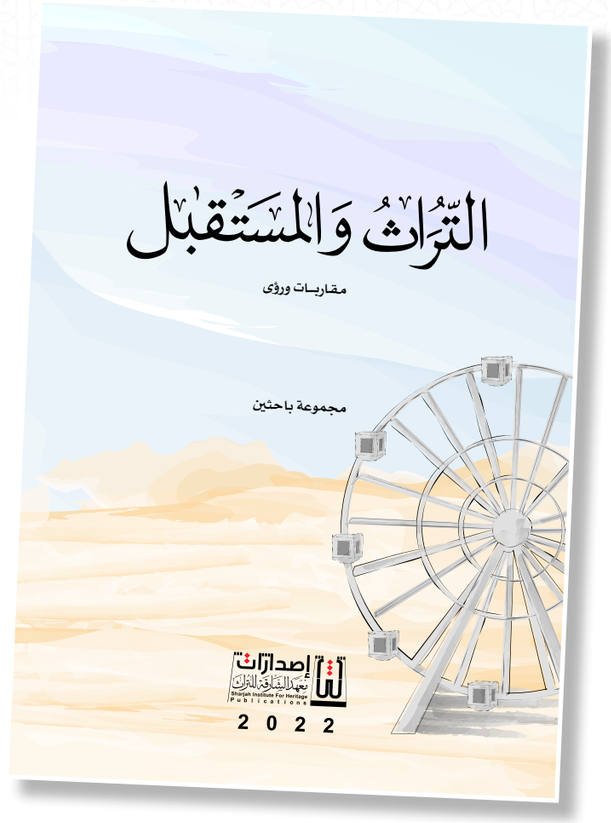

محتويات العدد

ملف العدد

المشروعات التراثية في المناطق الوسطى والشرقية .. تستعيد ألق الماضي

18

الافتتاحية
د. عبدالعزيز المسلّم

5

أخبار ومتابعات

10

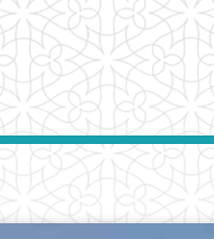

ملف العدد
فهد علي المعمري

44

ملف العدد
د. سالم زايد الطنيجي

50

ملف العدد
فاطمة سلطان المزروعي

56

ملف العدد
مريم سلطان المزروعي

60

300 ألف زائر في ختام «أيام الشارقة التراثية» في دورتها ال 19

64

موسيقا الشعوب
علي العبدان

78

فنون شعبية
علي العشر

82

الحيوان في التراث الإنساني
علي أحمد المغني

84

دراسة
محمد عبدالله نور الدين

90

خواطر
طلال سعد الرميضي

96

زاوية
د. فهد حسين

100

فضاءات
حسين الراوي

106

تنبيهات
سعيد يقطين

108

قراءة أدبية
خالد عمر بن ققة

110

عيون التراث
حجاج سلامة

114

رؤى
سلامة الرقيعي

118

120 قراءات
الحسام محيي الدين

138 حوار : محمد صالح النقبي
بكر المحاسنة

141 إضاءة
إيهاب الملاح

126 أدب الرحلات
د. أماني محمد ناصر

144 الأمير.. وذات العينين الخضراوين

146 الحرير شاهد على التاريخ الصيني

150 شرفة
د. منّي بونعامة

مراود
مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مستشار التحرير
د. ماجد بوشليبي
رئيس جمعية المكتبات والمعلومات

مدير التحرير
د. منّي بونعامة
مدير إدارة المحتوى والنشر

هيئة التحرير
أ. علي العبدان
أ. عتيج القبيسي
أ. عائشة الشامسي
أ. سارة إبراهيم

سكرتير التحرير
أحمد الشناوي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

التصوير
قسم الإعلام

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH
هاتف: 5092666 6 971+
انستغرام: marawed_sih
الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

ISBN 978-9948-37-768-9

عبدالعزيز المسلّم يسرد تجربته مع الكتابة في معرض لندن الدولي للكتاب

أكد سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، أن الخيال يعني الحياة، وهو ما يميز البشر من غيرهم من الكائنات، وأن الخيال هو نتاج الجهد الفكري البشري المبدع عبر التاريخ، في سياق محاولته تفسير الظواهر والخوارق، أو التعبير عن مخاوفه وأحلامه ورغباته، عبر قصص ابتكرها وصاغ شخصياتها، ليطوّع بها المستحيل، ويحوّله إلى ممكن، ولو بالتخيل والشعور، مشيراً إلى أن فقدان الحكاية الشعبية الخيالية يعني خسارة جزء كبير من الذاكرة الإنسانية.

جاء ذلك خلال جلسة حوارية، ضمن برنامج إمارة الشارقة التي تحلّ ضيف شرف على الدورة الـ49 من «معرض لندن الدولي للكتاب»، بمشاركة معهد الشارقة للتراث في جناح تضمن إصدارات المعهد وورشاً للحرف التقليدية.

تناول المسلّم، أهمية الحكايات الخرافية، وما تقدمه من أبطال، ودورها في تشكيل الوعي، وتوسيع النظرة للحياة وحركتها وظواهرها، إلى جانب كونها وسيلة تعليمية فعّالة تعتمد الأسلوب التفاعلي الاستكشافي بعيداً عن التوجيهات والإرشادات الجامدة والمحددة.

واستهلّ المسلّم الجلسة بالحديث عن نشأته في مدينة خورفكان، حيث تعتبر قصص الخيال جزءاً أصيلاً من

ثقافاتها وطقوسها، وقال: «تأثر المجتمع في مدينتي إلى حد كبير بالقصص الخرافية وشخصياتها، وكنا نعتمد على ما تقدمه الخرافة في تأويل الأشياء والظواهر والأحداث، فإذا سمعنا صوت نباح كلب، أو عواء ذئب، أو شهدنا حدثاً طبيعياً، فسرناه بالاستناد إلى ما نحفظه من الخرافات التي انتقلت إلينا جيلاً عبر جيل».

الأم كنز المعرفة الأول

وتابع المسلم: «هناك رابط وجداني عميق بين الإنسان والحكاية، وبشكل خاص إذا كان الأمر يتعلق بالأطفال، وكانت تعتبر الحكايات بمثابة جائزة ومكافأة للطفل الملتزم أو المتعاون، والمسهم في شؤون العائلة وأعمالها، وكانت أمي، التي اعتبرها كنزي المعرفي الأول، تعِدنا بأن تقصّ علينا الحكايات إذا ساعدناها في أعمال المنزل. ولعل سرّ حبّ الأطفال الحكايات الخرافية، هو ما يمنحه لهم أبطالها من شعور بالقوة والتفوق على الواقع وتحدياته».

تراث الخيال لايزال يعلّمنا وينتقد واقعنا

وحول الأهمية المستمرة لقصص الخيال التراثية، وحضورها القوي في واقعنا اليومي، قال المسلّم: «لقد لجأ الإنسان عبر التاريخ إلى الخيال؛ ليعبر عن ذاته ودوره ومكانته وسط منظومة الطبيعة وكائناتها، وليعبر أيضاً عن وهويته الوجدانية، فغالبية قصص الخيال في الثقافة العربية تنتهي بهزيمة الشخصية الخرافية، نتيجة خطأ ارتكبته، وهذا يعني أن على الإنسان أن يتعلّم من نتاجه الفكري الذي صور تلك الحكاية». وهنا علينا أن نعي بدقة أن قصص الخيال لا تنتمي للماضي، وقد يكون ذلك من حيث النشأة، ولكنها لاتزال تنتقد واقعنا، وتضيء على جوانبه الغائبة، وتحاكم منظومتنا الثقافية، وتعيد توصيف مفاهيمنا، إنها قصص مستمرة باستمرار الزمن؛ لذلك علينا أن نبذل المزيد من الجهد لتوثيقها وحفظها كما هي، بكل أمانة وموضوعية».

بمشاركة أكثر من 18 دولة

اختتام الورشة الأولى لبناء القدرات في مجال التراث الثقافي غير المادي

اختتمت أعمال الورشة الأولى لبناء قدرات نقاط الاتصال القطرية، بخصوص تقديم التقارير الدورية، بموجب اتفاقية 2003 لصون التراث الثقافي غير المادي في منطقة الدول العربية، في معهد الشارقة للتراث، بحضور سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، والسيدة سوزان شنوتجن، رئيسة وحدة بناء القدرات وسياسة التراث في هيئة التراث الحي في «اليونسكو»، وعائشة الحصان الشامسي، مديرة مركز التراث العربي، حيث شارك في الورشة أكثر من 18 دولة، بالإضافة إلى مشاركات عبر الإنترنت والفضاء الإلكتروني، واستمرت خمسة أيام.

أعمال ومشاريع وتجارب مميزة

تضمنت الورشة في يومها الأول مقدمة عن التدريب، والتطرق إلى أهداف الورشة التدريبية، وهيكلية التدريب، وآلية وطرق العمل باتفاقية عام 2003، وآلية إعداد التقارير الدورية الخاصة بها، إضافة إلى عرض

أول إفادة من المشاركين حول تجربتهم الأولية في تعبئة الاستمارة الإلكترونية لإعداد التقارير الدورية.

كما تناولت الورشة المفاهيم الأساسية لاتفاقية عام 2003، ودور الفاعلين المشاركين في تنفيذ الاتفاقية، ودورهم في عملية إعداد وتقديم التقارير الدورية، ودور نقاط الاتصال القُطْرية، بالإضافة إلى إعداد التقارير الدورية بموجب الاتفاقية، وأهميتها وآلية عملها.

تتويجاً لاعتماد معهد الشارقة للتراث مركزاً من الفئة الثانية لبناء القدرات تحت رعاية «اليونسكو»

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «تأتي هذه الورشة تتويجاً لاعتماد معهد الشارقة للتراث مركزاً من الفئة الثانية لبناء القدرات تحت رعاية (اليونسكو)، وهذه الورشة هي الأولى لبناء القدرات في مجال تسجيل الملفات في المنطقة العربية برعاية (اليونسكو)، حسب الاتفاقية التي تم توقيعها لجعل المعهد مركزاً لبناء القدرات، حيث تم تخصيصه للوطن العربي كافة، ويشارك اليوم في الورشة أكثر من 18 دولة، حيث سيغطي المركز أعمالاً كثيرة، ومساحات كبيرة وفق تقديرات (اليونسكو)، كما أنه يركز على أهمية بناء القدرات في التراث الثقافي غير المادي، بالإضافة إلى دوره في تخريج خبراء جدد ومختصين».

ولفت سعادته إلى أن المعهد بكل فرقه وإداراته وأقسامه، في أتمّ الجهوزية من أجل تنفيذ برنامج حيوي كبير بهذا الشأن، في ظل دعم متواصل وبلا حدود من قبل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، راعي الثقافة والتراث، الذي حقق للشارقة ومشروعها الكبير مكانة عالمية مميزة.

التراث الحيّ والممارسات الثقافية

من جانبها، قالت سوزان شنوتجن: «نحن سعداء في أن نكون هنا في الشارقة، مع معهد الشارقة للتراث، الذي أصبح مركزاً معتمداً لبناء القدرات، وها نحن

عائشة الحصان الشامسي

نعقد هذه الورشة الأولى حول إعداد التقارير الدورية، بخصوص اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي، حيث إن هذه الاتفاقية تأتي لتُلامس حول ما هو مهم للناس، وما يمنحهم إحساساً بالانتماء، وحول التراث الحي، والممارسات الثقافية، وأنظمة المعرفة، والطقوس والتقاليد التي تريد المجتمعات نقلها إلى الجيل الجديد».

وأضافت: «وتناقش الورشة حزمة من القضايا التي تحتاج إلى التفكير فيما يتعلق بكيفية حماية التراث الثقافي غير المادي وآلياته، وكذلك معرفة ما فعلته البلدان حتى الآن على مدى السنوات القليلة الماضية، في تنفيذ هذه الأداة الدولية المهمة لحماية التراث الثقافي غير المادي». مشيرةً إلى أن التراث الثقافي غير المادي يقدم إسهاماً كبيراً في التنمية المستدامة والتفاهم المتبادل.

تشجيع الحوار بين الثقافات وتعزيز الاحترام المتبادل بين جميع مكونات النسيج المجتمعي في البلدان العربية

من جهة أخرى، قالت عائشة الحصان الشامسي: «إن اعتماد معهد الشارقة للتراث يمثل إضافة نوعية مهمة وحيوية وجميلة تعمّ العالم العربي، وها قد بدأنا مع هذه الورشة تنفيذ خطتنا المتعلقة بكون المعهد أصبح مركزاً معتمداً لبناء القدرات، وقريباً سنحصد ما يليق بمكانة المعهد وسمعته، وما يستحقه منا جميعاً التراث العربي، حيث إن بناء قدرات الكوادر العربية العاملة في مجال التراث الثقافي غير المادي يسهم في تشجيع الحوار بين الثقافات، وتعزيز الاحترام المتبادل بين جميع مكونات النسيج المجتمعي في البلدان العربية، من خلال حماية الهويات والتنوع الثقافي للسكان، عبر صون وحماية كل عناصر هذا التراث بدءاً من العادات والتقاليد والطقوس والممارسات، وصولاً إلى المهارات والحِرف والفنون على اختلافها».

مشاركة الخبرات في إعداد التقارير الدورية من مناطق أخرى حول العالم

وفي اليوم الثاني للورشة، تم التطرق إلى كيفية عمل الرصد والمراقبة القائمة على النتائج في سياق التقارير الدورية، وكيفية تأويل الأسئلة الواردة في النموذج والإجابة عنها، وكيف يعمل الرصد والمراقبة القائمة على النتائج، وفي جلسات اليوم الثالث، سيكون هناك تركيز على ملء استمارة التقارير الدورية، وما فوائد وتحديات إعداد التقارير الدورية، بالإضافة إلى مشاركة الخبرات في إعداد التقارير الدورية من مناطق أخرى حول العالم (منطقة إقليم أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي).

أما اليوم الرابع، فركز على المنهجيات التشاركية لإعداد التقارير الدورية، من حيث أهميتها وكيفية تنفيذها، وغيرها من المحاور، ويتضمن اليوم الخامس والأخير، الخلاصة مركزاً على التقييم والنظرة المستقبلية.

بناء القدرات للمحافظة على التراث الثقافي غير المادي

جديرٌ بالذكر أن المركز يختص في بناء القدرات للمحافظة على التراث الثقافي غير المادي، وذلك بهدف تعزيز اتفاقية عام 2003 لحماية التراث الثقافي غير المادي، والإسهام في تنفيذها بالدول العربية، وتعزيز القدرات المؤسسية لحماية التراث الثقافي غير المادي في الدول العربية، مع تعزيز مقاصد وأهداف اتفاقية عام 2003 في المنطقة، ورفع مستوى مشاركة المجتمعات والمجموعات والأفراد في حماية التراث الثقافي غير المادي، إضافة إلى رفع مستوى الوعي بالتراث الثقافي غير المادي، وضمان احترامه في الدول العربية، وتعزيز التعاون الإقليمي والدولي لحماية التراث الثقافي غير المادي.

وسيعمل المركز تحت رعاية من منظمة «اليونسكو» على تنفيذ برامج وأنشطة قصيرة وطويلة الأجل، لبناء القدرات في مجال حماية التراث الثقافي غير المادي، تستند إلى البرنامج الذي وضعته منظمة «اليونسكو» للتنفيذ الفعّال لاتفاقية عام 2003، وتكييف مواد وبيانات بناء القدرات التي طورتها منظمة «اليونسكو» لتتلاءم مع السياق الإقليمي وضمان ترجمتها إلى اللغة العربية.

«الشارقة للتراث» يطلق برنامجاً ثقافياً شاملاً للاحتفاء بالمناطق التراثية في خورفكان

انطلقت فعاليات وأنشطة البرنامج الثقافي الرمضاني في قلب الشارقة، بتنظيم من معهد الشارقة للتراث، حيث تستمر البرامج والفعاليات الثقافية حتى 21 إبريل الجاري، في حين تواصل فعاليات الأسواق حضورها ودورها طوال أيام الشهر الفضيل وعيد الفطر المبارك، في ظل مشاركة محلية وعربية مميزة. وكذلك يتواصل برنامج التفعيل، ليعمّ المنطقتين الوسطى والشرقية، من خلال دور وجهود فروع المعهد.

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «جاء تفعيل المنطقة التراثية في قلب الشارقة وبقية مناطق الإمارة في شهر رمضان الفضيل، بناء على توجيهات صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، لإحياء هذه المناطق، وتعزيز حضورها بين المواقع السياحية والترفيهية الأكثر زيارة، من خلال تنظيم العديد من الفعاليات الرمضانية التي تحيي في نفوس الزوار ذكريات الشهر الكريم، وما يحفل به من قيم روحية وإنسانية، إلى جانب التعريف بالموروث الشعبي الإماراتي والعربي، في الأزياء والألعاب والعادات والتقاليد والمأكولات وغيرها، للمحافظة عليها بين الجيل الجديد».

وأشار المسلّم إلى أن هذه المبادرة الجديدة لمعهد الشارقة للتراث تشكل استمراراً لنهجه في تعزيز الوعي بالتراث الإماراتي، وحفظ وحماية الهوية الإماراتية، وتسهم في تحويل رمضان إلى شهر حافل بالفعاليات والنشاطات المتماشية مع خصوصيته، وفي الوقت نفسه إحياء الذاكرة الشعبية بمفردات الزمن الجميل، وإبراز ما تحفل فيه المناطق التراثية في إمارة الشارقة من مكونات ومعالم ومواقع، وتحويلها إلى ساحات للنشاط والتواصل الثري مع مختلف الثقافات.

مشاركة مميزة للجاليات

من جانبها، أوضحت عائشة غابش، مديرة إدارة الفعاليات والأنشطة في معهد الشارقة للتراث، أن مشاركة الجاليات

مميزة وهادفة، وستكون في الفترة من 16–21 إبريل الجاري، من بينها مشاركة من السعودية بالخيمة السعودية، تحتوي على الأزياء الشعبية، الضيافة، السوق الشعبي. ومشاركة من جمهورية مصر العربية في سوق التراث المصري، تحتوي على المنسوجات، الخيم، الخزف، المقتنيات الفخارية، المقتنيات النحاسية، ويشارك في هذه الفعالية عدد من أصحاب الاختصاص من الإمارات والسعودية وعُمان والبحرين ومصر، حيث يشارك خمسة أشخاص من كل دولة، يمارسون الألعاب الشعبية بزي كل دولة.

وأضافت: «وقد سخّر معهد الشارقة للتراث البنية التحتية لأيام الشارقة التراثية بتفعيلها في هذه المناسبة، مع اختلاف المسميات، حيث بدأ البرنامج من 7 إبريل، ويستمر حتى 21 إبريل كبرامج ثقافية، أما الأسواق فستبقى موجودة حتى نهاية عيد الفطر السعيد».

المجلس الثقافي الرمضاني

وقال الدكتور منّي بونعامة، مدير إدارة المحتوى والنشر في معهد الشارقة للتراث: «يأتي المجلس الثقافي الرمضاني هذه السنة احتفالاً بالموروث الشعبي الإماراتي، والتقاليد والطقوس الرمضانية، فالذاكرة الشعبية الإماراتية مملوءة بقصص وحكايات عن رمضان وطقوسه الجميلة، وسنعرض كثيراً منها من خلال عدد من المحاضرات القيّمة للباحثين، لاستذكار مجموعة من الموضوعات التراثية، والطقوس والتقاليد التي كانت تصاحب الشهر الفضيل، بالإضافة إلى موضوعات أخرى غنية ومتنوعة، وإطلاقات أحدث إصدارات المعهد».

وتابع: «ويأتي المجلس الثقافي الرمضاني احتفالاً بالمناطق التراثية في قلب الشارقة، وفي بقية مناطق الإمارة مع الفروع الأخرى للمعهد هناك، وستكون لدينا محاضرات غنية، بالإضافة إلى سوق الكتبيين، حيث نعرض أكثر من 400 إصدار متنوّع، ونتشارك مع القرّاء والباحثين؛ للاطلاع على ما تزخر به مكتبات المعهد وإصداراته من عناوين غنية ومهمة، بأسعار مناسبة، بهدف تقريب المعلومة التراثية من الجمهور، وإتاحة الكتاب التراثي للقرّاء والباحثين».

برنامج شامل ومشاركات عديدة

ويتضمن البرنامج العام في قلب الشارقة، كلاً من السوق الرمضاني، بمشاركة الأسر المنتجة وأصحاب الأعمال، وأسواق الجاليات بمشاركة المغرب، اليمن، العراق، مصر، ومشاركة عدد من الجهات الحكومية، مثل دائرة شؤون الضواحي والقرى، دائرة الخدمات الاجتماعية، مركز الشارقة للتطوع، وهناك منطقة ألعاب ترفيهية للأطفال، ومسابقات وبرامج ترفيهية ومحاضرات وورش في قلب الشارقة، ودبا الحصن في المنطقة التراثية، وخورفكان، في كل من المنطقة التراثية وحارة السدرة التراثية وسوق شرق، ومدينة الذيد في منطقة حصن الذيد والشريعة، وفي كلباء في حي الحصن وبيت الشيخ سعيد.

ملف العدد

المشروعات التراثية في المناطق الوسطى والشرقية .. تستعيد ألق الماضي

ضمن المشروعات التراثية الكبرى التي يرعاها صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمّد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة ـ حفظه الله تعالى ورعاه، عكف معهد الشارقة للتراث على إحياء المناطق التراثية في مدينة الشارقة وفي مناطقها الوسطى والشرقية، تنفيذاً لتوجيهات صاحب السمو حاكم الشارقة السامية، الرامية إلى المحافظة على المباني التاريخية والتراثية، وصيانتها وحمايتها، وتوفير كل الوسائل الضرورية لترميمها وإحيائها؛ لِمَا في ذلك من حفظ لذاكرة المكان التاريخي والتراثي في الإمارة، واستدعاء للماضي الجميل، واحتفاء بالدور التاريخي الذي لعبه هذا المبنى أو ذاك في فترات تاريخية مختلفة، وأماكن متعددة، وبهدف تعزيز الارتباط بالمكان الإماراتي، بمعالمه وصروحه ورموزه الأصيلة.

وشملت المشروعات التي تم الشروع فيها وإنجازها في هذا السياق، معالم تاريخية ومباني تراثية في الشارقة والمنطقتين الوسطى والشرقية، وهي: البيت الغربي، بيت السركال، حصن الشارقة، سوق التمر، سوق الشناصية، سوق العرصة، سوق صقر، فندق البيت، حصن الذيد، منطقة خورفكان التراثية، حصن فلي، خور كلباء، نزل الرياحين، حي الحصن التراثي بكلباء، حارة السدرة التراثية بخورفكان، بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي.

في هذا الملف سوف نستعرض للقارئ الكريم المشروعات التراثية في المنطقتين الوسطى والشرقية، لإبراز دورها في صون وإعادة إحياء المناطق التراثية، وتحويلها إلى واجهات للجذب الثقافي والسياحي والترفيهي.

حصن الذيد .. ذاكرة الماء والطين

تعدّ مدينة الذيد، التابعة لإمارة الشارقة، من المناطق ذات الطبيعة الساحرة، نظراً لما تتمتع به من مقومات طبيعية، فجوّها معتدل صيفاً، ويميل إلى البرودة في مواسم هطول الأمطار، إضافة إلى موقعها وسط الكثبان الرملية ذات الارتفاعات المختلفة، والمحيطة بعدد من واحات أشجار النخيل والسمر والغاف البرية، ما يشكّل مناظر تبهر الناظرين، وتسرّ العين والقلب، وتريح النفس. تمتلك مدينة الذيد أهمية تاريخية كبيرة منذ القدم، حيث تزخر بوجود العديد من المواقع التاريخية المهمة، التي تدل على البعد الأثري للمنطقة، وتعبر عن حياة الأهالي الذين سكنوها منذ آلاف السنين، ومن أبرز تلك المواقع حصن الذيد، الذي كان يسمى «قلعة

القواسم»، والمحاط بعدد من الحصون القديمة، إضافة إلى وجود عدد من الأفلاج القديمة التي تعود لمئات السنين، وعدد من قنوات المياه القديمة التي كانت تستخدم لسقي المزروعات.

يقع حصن الذيد في نهاية الطريق المزدوج من الشارقة إلى قرية الذيد، على بعد 55 كيلومتراً من مدينة الشارقة، وفي هذا الموقع توجد قلعتان بنيتا من «اللبن» المربوط بالطين؛ تقع الأولى جنوب شرقي البستان الكبير، أما الأخرى، فتقع على مرتفع كتف البطحاء.

يعود تاريخ حصن الذيد إلى القرن الثامن عشر الميلادي؛ أي إلى أكثر من قرنين من الزمان، في عهد الشيخ صقر بن خالد القاسمي، ما يدل على أن المدينة لها مكانة سياسية في الماضي، حيث يتم فيه عقد الاجتماعات السياسية مع شيوخ المنطقة، وتم استخدامه للتحصن من الغارات والغزوات بين القبائل، واستراحة للحاكم أثناء قدومه في رحلات القنص أو المصيف، وكذلك لاستقبال الزوار، فهو جزء من تاريخ القواسم أسياد البحار خلال العصور المنقضية.

وقد قام صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، بحضور سمو الشيخ عبدالله بن سالم بن سلطان القاسمي، نائب حاكم الشارقة، وسمو الشيخ سلطان بن أحمد بن سلطان القاسمي، نائب حاكم الشارقة، بافتتاح حصن الذيد وعدد من المشروعات المجاورة للحصن في شهر فبراير الماضي.

أكد صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، أن لمدينة الذيد شواهد تاريخية أصيلة، تمثلت في العديد من المواقع الأثرية التي لها دلالات كثيرة على إرث أهل المنطقة وصفاتهم، وما شهدته من ظروف مختلفة.

هنّأ صاحب السمو حاكم الشارقة، في كلمته، أهل المنطقة بافتتاح حصن الذيد، مشيراً سموه إلى أن ما تم افتتاحه هو جزء من مشروع كبير سيمتد حتى البطحاء، كما سيضاف إليه عدد من المرافق الحيوية استكمالاً للبنية التحتية والتاريخية والسياحية، التي ستمثل إضافة تستوعب كل أنشطة الأهالي في مختلف المناسبات، والزوار من المدن والمناطق كافة.

كما تناول سموه معاني كلمة (الذيد) ومرادفاتها المتعددة، موضحاً سموه أنها مستمدة من الذود، وتعني الدفاع والمقاومة ضد كل ما هو غير أصيل، وأن الذيد يأتي من الأنفة والارتفاع والشمم، وهو الكرم وعزة النفس والنخوة والشجاعة، مشيراً إلى أهمية هذه المعاني والمحافظة عليها.

عن ارتباط الذيد بالماء، أشار سموه إلى أن الذيد كانت منذ القدم تأتيها المياه من فوقها؛ بسبب الأمطار وجريان الأودية، ومن تحتها من خلال أفلاج الشريعة، وتأثرت بقلة الأمطار، وجفاف الأفلاج التي جرى العمل على إحيائها من دون التأثير في بنيتها الرئيسة، مؤكداً سموه أن الماء من نِعم الله وخيراته، وباللجوء إليه والاستغفار يزيد ويكثر، وشدد سموه على ضرورة الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وتقوى الله عزّ وجلّ.

عند وصول صاحب السمو حاكم الشارقة إلى حصن الذيد، استُقبل بأهازيج الفرق الشعبية التي رحّبت بسموه، وحيّت جهوده ومكارمه السخية، ليزيح بعدها الستار التقليدي معلناً افتتاح حصن الذيد.

تجوّل سموه في أروقة حصن الذيد وأجنحته، والذي يعتبر شاهداً على التاريخ العريق لمدينة الذيد التي شكلت واحة مزدهرة تتوافر فيها المياه العذبة والنخيل المثمرة، والمباني الدفاعية التي توفر الأمن والأمان لسكانها.

يتكوّن الحصن الذي يعود تاريخه إلى 1820 في عهد الشيخ سلطان بن صقر القاسمي، حاكم الشارقة آنذاك، من مبنى مربع الشكل، طوله 32 متراً، وعرضه 26 متراً، ويضم عدداً من الغرف التي تم تحويلها إلى قاعات عرض تحوي مجموعة من المعروضات التاريخية لمدينة الذيد وتراثها.

تضم قاعة الوثائق مجموعة من الوثائق المرتبطة بحصن الذيد بشكل خاص، ومنطقة الذيد بشكل عام، وهي تعود للأرشيفات القديمة، مثل الأرشيف البريطاني، وكذلك الكتابات المحلية التي جاء فيها ذكر الذيد، وهي تسرد الحقائق الجغرافية والوقائع السياسية والأحداث الاجتماعية التي دارت بالمنطقة.

ففي قاعة الأسلحة تعرض أنواع عدة من الأسلحة التي استخدمت في الذيد قديماً، ومنها السهام الحجرية التي تم استعمالها في فترات زمنية تمتد للألف الرابع قبل الميلاد، إضافة إلى السيوف والخناجر ولباس المحاربين، وعدد من نماذج الأسلحة النارية والذخائر مثل البنادق.

أما غرفة الشيخ فتحتوي على عدد من الأغراض الشخصية التي كان يستخدمها خلال إقامته في الحصن،

فقد كان حصن الذيد بمثابة مقر لحاكم الشارقة أثناء إقامته بالذيد، سواء خلال تنقله إلى المنطقة الشرقية، أو قضائه فترة بجوار واحة الذيد.

يضم الحصن الليوان، وهو الرواق المظلل الذي كان مكان التجمع العائلي لأهل الحصن، كما يضم قاعة دروب القوافل والتجارة التي تشتمل على عدد من الجداريات التي تصف دروب القوافل من وإلى مدينة الذيد، كما يعرض الحصن مجسمات بالحجم الأصلي للإبل، ومعدات التحميل، وأصناف البضائع التي كانت تحملها أثناء الرحلات.

أما ردهة المطبخ فتحتوي على نماذج لكل الأدوات التي كانت تستخدم قديماً في عملية الطبخ، وأنواع التوابل والحبوب والخضراوات، حيث تنوعت الأطعمة التي كان يتم تحضيرها في الحصن للعائلة والجنود، كما تميزت الموائد الخاصة بالمناسبات والاحتفالات، والتي كانت تحضّر في المطبخ أو ساحة الحصن.

ويشكل مخزن الحبوب والزكاة انعكاساً لأمان الحصن، حيث يضع المزارعون فيه أرزاقهم من الثمار، ويتم فرزها وتخصيص جزء منها للزكاة، كما كانت تخزن فيه العديد من المواد الغذائية، أما غرفة المدبسة فتحتوي على عرض مرئي ومجسمات دقيقة لوصف مراحل عملية صنع دبس التمر.

افتتاح السوق الواقع خلف الحصن

ثم انتقل صاحب السمو حاكم الشارقة، إلى افتتاح السوق الواقع خلف الحصن، والذي تم بناؤه بالكامل من الدعون والأخشاب، بتصميم متطور يراعي معايير

السلامة والأمان، من دون تغيير النمط المعماري التراثي للبناء بالدعون.

ويحتوي السوق على عشرات المحال التي تتنوع ما بين المطاعم والمخابز والمقاهي والمحال المخصصة لأهالي الذيد، والتي يبيعون فيها منتجاتهم المحلية والمنزلية والتراثية، ويشتمل كذلك على جلستين للزوار في المدخل الأوسط للسوق.

بجانب السوق تم تجهيز مضمار مصغر للهجن، تمر فيه الإبل لتجسيد القوافل القديمة التي كانت تعتبر الذيد محطة لها، بالإضافة إلى توفير مواقف سيارات بعدد 300 موقف لزوار الحصن والسوق.

زيارة مسجد الشريعة

ثم اتجه صاحب السمو حاكم الشارقة إلى زيارة مسجد الشريعة، الذي يقع وسط المزارع والشريعة، حيث بُني المسجد على ربوة طينية منخفضة وسط النخيل، وبجوار ساقية الفلج التي كان المصلون يتوضؤون منها، وبني المسجد في أصله من الطوب الطيني والصاروج، كما رصفت الأرضية الداخلية بالصاروج، وسقف بجذوع النخيل المستندة إلى جدرانه، بالإضافة إلى عمودين في الوسط، وللمسجد محراب مقوس تم الاستدلال عليه بالتقنيات الأثرية والصور القديمة.

يعدّ فلج الذيد الذي يمتد إلى 5 كيلومترات، واحداً من أقدم الشواهد الأثرية على الحياة في مدينة الذيد، وهو شريان الحياة فيها منذ القدم، وإلى فترة زمنية قريبة، حيث ظل الناس يسقون منه واحة النخيل المشهورة في الذيد، قبل أن يتعرض للجفاف والانهيار في بعض أجزائه، إلى أن تم ترميمه حديثاً.

مسجد أم سلمة

افتتح صاحب السمو حاكم الشارقة بعد ذلك مسجد أم سلمة، الواقع بالجهة الشرقية لحصن الذيد، والذي

أعيد بناؤه ليتوافق تصميمه مع الحصن والمنطقة المجاورة.

السوق الغربي

اختتم سموه جولته بافتتاح السوق الغربي، الذي يقع على أطراف الساحة الغربية المقابلة للبوابة الرئيسة للحصن، ويحتوي على 10 محال تجارية، اختيرت مجالات عملها بعناية، لتلبية كل الأذواق والاحتياجات، ويستهدف جميع الزوار من مختلف الأعمار والاهتمامات.

حي الحصن التراثي

في مدينة كلباء .. معالم وشواهد

افتتح صاحب السمو حاكم الشارقة، في شهر مارس الماضي، وبحضور سمو الشيخ سلطان بن أحمد بن سلطان القاسمي، نائب حاكم الشارقة، المرحلة الأولى من مشروع حي الحصن التراثي بمدينة كلباء.

تجول صاحب السمو حاكم الشارقة في أروقة الحي الذي تأتي إعادة إحيائه وترميمه بناءً على توجيهات سموه، لما تشكله المنطقة من إرث تاريخي وأثري وشاهد على الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدينة قديماً، ولتشكل معلماً سياحياً مهماً للزوار من مختلف المناطق.

كما اطلع سموه على المراحل المتبقية لعمليات إعادة الترميم وإحياء المنطقة، واستمع إلى شرح مفصّل حول سير الأعمال فيها، وأبرز الشواهد الأثرية المكتشفة خلال عمليات الترميم.

يضم الحي المستشفى الذي أعيد تصميم أبوابه مثل شكلها الرئيس في السابق، بالإضافة إلى عرض المقتنيات الخاصة بالمعالج حينها في غرف العرض الخاصة فيه.

كما يضم الحي وفقاً للبيانات والمعطيات 15 بيتاً قديماً، كانت قد هدمت مسبقاً وأعيد بناؤها وافتتاح 5 منها في المرحلة الحالية، لتستكمل البيوت المتبقية في المراحل القادمة.

وأعيد بناء حي السوق التراثي بحجم أكبر من حجمه الأصلي، ليضم 16 محلاً تجارياً لأصحاب المشاريع من رواد الأعمال الشباب المواطنين.

أما المسجد التراثي القديم، فقد تمت إعادة تجديده وصيانته، وإجراء عملية توسعة له، نظراً لكونه تعرض للعديد من عمليات الهدم والبناء سابقاً، وقد روعيت إعادة وضع الرسومات والنقوش الموجود سابقاً على المنبر والمحراب.

بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي

كما افتتح صاحب السمو حاكم الشارقة، بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي، الذي تمت إعادة ترميمه وتأهيله، حيث يعد أحد أهم المعالم التراثية في إمارة الشارقة، ومن أبرز الشواهد على الدور الاقتصادي والحضاري العريق للإمارة، وتم بناؤه في الفترة ما بين 1898 و1901، مقابل الحصن التاريخي للمدينة على شاطئ كلباء، والذي شهد في تلك المرحلة حركة تجارية نشطة، تركت آثارها في المشهد الحضاري العام.

كان بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي قد شهد عمليات ترميم سابقة، ليصل اليوم إلى فتح أبوابه للزوّار للتعرف إلى مقتنياته التاريخية وهندسته التي تحمل بصمة عربية تاريخية إسلامية، وليروي عبر مقتنياته حكاية المنطقة ودورها التاريخي.

المكانة:

بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي، الذي تم بناؤه في الفترة ما بين 1898م و1901م، ليس كسائر البيوت العادية، إذ على الرغم من أنه يحمل لقب البيت، إلا أنه قصر من قصور الحكم التي كانت شائعة في تلك الفترة، وقد لعب، على امتداد الفترة التي استقر المغفور له فيه، أدواراً لا يمكن حصرها، ولا الوقوف عليها بعجالة.

يعد بيت الشيخ سعيد، منذ نشأته حتى يومنا هذا، علامة مميزة في مدينة كلباء، لما يحتله هذا البيت من موقع تم اختياره بعناية فائقة، ليس كموقع مطل على البحر فحسب، بل الموقع الوسطي الذي اختاره المغفور له، حيث إن هذا البيت يربط المدينة من كل الجهات، وجاء في وسط المدينة وفي قلبها.

بناء البيت:

لقد شرع المغفور له بعد اختيار المكان الذي سينشئ عليه البيت، بتصميم شكله وهندسته ليتماشى مع الدور والمهام المنوطة به، من خلال مرافقه المتعددة والمختلفة، حيث يتكون البيت من الداخل من حجر (غرف) عدة، يبلغ عددها 17 غرفة، وثلاثة مجالس داخلية، ومجلس كبير خارجي، بالإضافة إلى غرفة المختصر الأخرى، التي يقع بابها خارج البيت، وحوش (فناء) كبير تتوسطه أشجار الشريش (النجم) التي كانت متوزعة في أرجائه، ولم يتبقَّ منها إلا شجرة واحدة شاهدة حية على ما يذكر.

بالإضافة إلى بعض غرف الأطفال، والمطبخ المتسع الكبير، ومرابط الخيل، ومرابض بعض الحيوانات، ومنها الأغنام والأبقار التي جاءت في ساحة البيت من الخلف

من جهة الغرب، لتكون منفصلة وبعيدة إلى حد ما عن مرافق البيت الحيوية الرئيسة الأخرى، بالإضافة إلى غرفة واحدة في الدور العلوي.

المواد المستخدمة في البناء:

يعود بناء بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي إلى بدايات القرن التاسع عشر، وقد تم بناؤه على يد بنّاية مهرة من أبناء مدينة كلباء في سنة 1898م، وقد تم الانتهاء من بناء البيت في 1901م، وقد استخدمت المواد القديمة في بنائه، ومنها الحجر الجبلي الذي استخدم للأساسات، أما الجدران فقد استخدم فيها الحجر المرجاني وحجر اليشم، بالإضافة إلى الجص.

كما تم استخدام الجندل (الكندل) والزور (الجريد) المصفى من الخوص (السعف)، والقيام بزفنه؛ أي ربطه بطريقة خاصة قريبة جداً من بناء جدران الكرانين وعُرش القيظ، وهي المعروفة بالبرستي، بالإضافة إلى حبال الكمبار التي كانت تستخدم في ربط ذلك الزور (الجريد)، ثم فيما بعد يتم فرش سميم البني؛ أي السميم الذي تتم صناعته محلياً من خوص النخل، والمخصص لأغراض التسقيف؛ ولذلك عرف باسم «سميم البني».

مرحلة الترميم الثانية: (معهد الشارقة للتراث) 2021 مارس

دشّن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، المرحلة الأولى من مشروع ترميم بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي في مدينة كلباء، وذلك ضمن إطار المشاريع التنموية التي وجه بها سموه، وتزامناً مع انطلاق فعاليات أيام الشارقة التراثية في مدينة كلباء.

الترميم:

مرحلة الترميم الأولى وكانت على فترتين: (دائرة الثقافة والإعلام) 1993

في إطار توجهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الرامية إلى إحياء الثقافة في أوساط أجيال الحاضر، وإنعاش الذاكرة الوطنية، وتأصيل الموروث الشعبي وإبراز مكانته التاريخية، قامت دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة بافتتاح بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي في مدينة كلباء بالمنطقة الشرقية، بعد إعادة ترميمه وتحويله إلى متحف للموروث الشعبي، ومزار تاريخي للمقيمين بالمنطقة، وللقادمين إليها من العرب والأجانب. والمتحف الجديد، الذي يعد الأول من نوعه في المنطقة الشرقية، والثالث عشر في سلسلة المتاحف التي تحتضنها إمارة الشارقة، بدأ في استقبال زواره من عشاق التراث والباحثين في تاريخ المنطقة، حيث تفتتح أبوابه أمام الجمهور على فترات صباحية ومسائية، باستثناء يوم الاثنين من كل أسبوع، باعتباره عطلة للمتاحف. وخلال الاحتفال بافتتاح متحف بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي، قال الدكتور عبيد الهاجري، مدير عام دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، إن ما تم كان بتوجيهات صاحب السمو حاكم الشارقة، النابعة من اهتمامه البالغ بتاريخ وتراث المنطقة، ومن حرص سموه البالغ لتثقيف الجيل الحاضر بالتراث، وبالآثار، من خلال إبراز الامتداد التاريخي عبر الاهتمام بالآثار القديمة التي تشكل معالم أساسية في تاريخ المنطقة، والتي لها قيمة تاريخية لا تقدر بثمن.

وقد سارعت حكومة الشارقة، بتوجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، بإجراء عمليات ترميم شاملة للبيت، باعتباره أحد أهم المزارات السياحية المهمة التي لها تأثير في المنطقة. وبالفعل بدأت عمليات الترميم على مرحلتين خلال العام 1993، وتم افتتاح المنزل – بشكل رسمي –مجهزاً بأحدث الوسائل التقنية لاستقبال الزوار في الخامس من شهر ديسمبر (كانون الأول) من عام 1999.

المواد المستخدمة:

1- الحجر الجبلي:

تكثر أحجار الجبال في مدينة كلباء، ولقد اعتمدوا عليها في البناء بالدرجة الأولى، وتستخدم الأحجار الكبيرة لبناء الجدران، والأحجار الصغيرة للسطوح والأرضيات.

2- الحجر البحري: (المرجاني)

بسبب وجود مدينة كلباء على الساحل، فإن من السهولة الاعتماد على الحجر البحري كمادة أولية رئيسة للبناء، عندما يستخرجون الحجر المرجاني، يجففونه ويهذبونه، ومن ثم يدخل في البناء، وبعضهم يحرقونه لاستخراج مادة (الجص).

3- الجص:

يستخدم الجص في بناء العناصر المعمارية، وهي المادة الأساسية، حيث يستخرج محلياً بحرق الحجر المرجاني، ومن ثم يتم تكسيره، ويخلط مع الماء، ويصبح جاهزاً للاستعمال في البناء.

4- اللبن:

التراب المحلي بعد مزجه مع الماء.

5- الدعون:

الدعون هي ربط سعف النخيل، وتستخدم لعمل السياج والحواجز والسقوف.

6- الجندل:

عود الجندل (الكندل) مستورد من إفريقيا، وهو من المواد المهمة.

7- حصير:

تفرش الحصر فوق الدعون لعمل السقف في المباني التراثية.

حصر الخوص: ينسج من سعف النخيل، ويتزين بعض الأحيان بالبوصي (صبغة).

حصر القصب: يسمى البارية، وكان يستورد من إيران وجنوب العراق.

قصب البانبو: نوع من القصب لونه أسمر داكن، وكان يستورد من بلاد الشرق.

تستخدم الحصر لوضعها فوق الجندل؛ لجعل السطوح مستوية، ولكي تثبت.

8- الخشب:

يستخدم الخشب لصناعة الأبواب والشبابيك.

9- الحديد

يستخدم الحديد كقضبان للشبابيك والأبواب.

المنطقة التراثية بخورفكان

تختزن عبق الماضي

اتساقاً مع مشاريع الإحياء، يأتي إحياء المنطقة التراثية بخورفكان، لما له من إسهام في تحقيق المحافظة على المباني التراثية الموجودة بالمنطقة، وإحيائها والترويج لها، وتحويلها إلى مزار سياحي، ووجهة ثقافية تستقطب السيّاح والزوّار من شتى الأماكن والثقافات، لتأخذهم في جولة ماتعة، في رحاب التاريخ العريق والتراث العميق الذي يفوح من جنبات المنطقة، ومن بيوتها وجدرانها التي لاتزال شاخصة وشاهدة على ماضيها الجميل.

وتكمن أهمية الحفاظ والإحياء في تقديم الصون العاجل للمنطقة التراثية بخورفكان، في تقديم الصون العاجل بانتشالها مما كانت تعانيه، وبعد صيانتها وإعادة تأهليها وتجهيزها للافتتاح، وتهيئتها لاستقبال الزوّار، ستشكّل المنطقة رافداً مهماً، يجمع بين الفائدة والتسلية، والثقافة والتراث والسياحة والترفيه للسكان والسيّاح على حد سواء؛ لما تضمه بين جنباتها من تنوّع للمرافق، وهي: المتاحف الشخصية: (بدر صالح، محمد صالح النقبي، فاطمة المغني، عبدالله الكابوري، راشد خلفان عبدالله النقبي، خلفان محمد علي النقبي)، بيوت الحرف، وتضم: (حرفة التلي، صباغة الملابس، السفافة، الزفانة، الدعون، صناعة البراقع)،

مجلس التراث (الدامة)، بيت الألعاب الشعبية، بيت أدب الرحلات، رواق المكتبة، بيوت الشباب، مشروع الرياحين، مركز الشعر الشعبي، بيت الشعر، بالإضافة إلى القناة المائية، ومتحف الحرف التقليدية في سوق شرق القديم، وما يضمه من حرف تراثية غنية، تقدّم صورة عن الماضي العريق. كما ستقدّم للزوّار صورة مشرقة وأخّاذة عن تراث المنطقة، ضمن لوحة تراثية متكاملة، تستعرض مختلف جوانب التراث الثقافي، من معالم تاريخية ومتاحف شخصية وحرف تقليدية وفنون شعبية، وصناعات تراثية تعكس الموقع الجغرافي الساحلي للمدينة، وما يزخر به من تراث بحري غني، يتجلى في أنواع من الصناعات والحرف والمهن التراثية المهمة، مثل صناعة الشوش وغيرها.

وقد افتتح صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، المنطقة التراثية بمدينة خورفكان في شهر أكتوبر 2020م.

ويمثل مشروع المنطقة التراثية بخورفكان أحد أهم المشروعات التي تسعى الشارقة من خلالها للمحافظة على المباني التراثية الموجودة بالمنطقة، وإحيائها والترويج لها، وتحويلها إلى مزار سياحي، ووجهة ثقافية تستقطب السيّاح والزوّار من شتى الأماكن والثقافات، لتأخذهم في جولة ممتعة في رحاب التاريخ العريق والتراث العميق.

وتفقد صاحب السمو حاكم الشارقة، لدى وصوله إلى المنطقة التراثية، قناة الوادي المائية، حيث شاهد عروض سباق الشوش التي أقيمت بمناسبة الافتتاح، وتشكل القناة التي يصل طولها إلى 700م، وبعرض 5 أمتار، إحدى أبرز المرافق السياحية المميزة بأنشطتها الترفيهية، حيث توفر للزوار فرصة ركوب العربات المائية، والتجول في أرجائها.

وتتصل قناة الوادي ببحر شاطئ خورفكان، وجرى

تعميقها لضمان استمرارية وجود المياه بها طوال الوقت، بحسب حالات المد والجزر، وستستخدم القناة كمصب لمياه الوادي وقت الأمطار.

وتوجه بعدها صاحب السمو حاكم الشارقة لتفقد نزل الرياحين، الذي يمثل مجموعة بيوت قديمة في المنطقة التراثية، حيث ستتم إعادة ترميمها، مع المحافظة على معالمها الأثرية، والتقسيمات الأصلية للبيت منها.

واستمع سموه إلى شرح حول المراحل القادمة لتنفيذ النزل والتصاميم المقترحة، وأبرز الخدمات التي

ستوفرها للنزلاء، ويتضمن النزل بيوتاً للإقامة تعكس الطابع التراثي القديم، حيث يتكون كل بيت من تقسيمات ومساحات متفاوتة لتلبي رغبات النزلاء، وتتكون البيوت من غرف للنوم وغرفة معيشة والليوان وجلسات خارجية، كما يحتوي النزل على حديقة خارجية، زرعت فيها أشجار النخيل والحناء والريحان.

كما تم استغلال أكبر بيت في المنطقة، ليتضمن منطقة استقبال النزل ومطعماً وبعض الخدمات الخاصة بالنزل ومكاتب الإدارة، بالإضافة إلى توفير مجموعة من المحال الشعبية التي تلائم الطابع التراثي الخاص بالنزل.

ثم عرج صاحب السمو حاكم الشارقة لتفقد بيت الشباب، الذي يمثّل أحد البيوت القديمة بالمنطقة التراثية، ويعود تاريخه إلى خمسينيات القرن الماضي، حيث يضم غرفاً سكنية ومخزناً وغرفة لاستقبال الضيوف، ويتألف بيت الشباب من خمس غرف موزّعة حسب الاستخدام، بالإضافة إلى حديقة وغرفة للاستقبال.

سوق شرق

وتجول بعدها سموه في أرجاء سوق خورفكان القديم «سوق شرق»، والذي جرى ترميمه ورفده بالعديد من المحال والأنشطة التجارية المتنوعة، ليصبح وجهة سياحية وترفيهية لكل الزوار والقاطنين بمدينة خورفكان، واستمع سموه إلى شرح حول المراحل التي أنجزت من السوق، ونسب الحركة التشغيلية والإقبال من الزوار على أرجاء السوق كافة.

واطلع صاحب السمو حاكم الشارقة على السوق المسقوف، الذي تم تنفيذ عملية التسقيف فيه لمساحة 500 متر مربع من ممرات المشاة بالسوق، باستخدام خشب الكندل والدعون والحصير، كما تم تحسين الواجهات وتكسيتها بالصاروج والديكورات الجصية، إضافة إلى تركيب مراوح في الممرات كافة، وتنفيذ جزء مكيف، بعد إضافة الزجاج في الواجهات.

وتفقد سموه متحف السوق القديم (متحف الحرف) والذي يشكل مساحة ثقافية وتراثية، تضم العديد من الأقسام التي خصصت لعرض وشرح الفنون والحرف اليدوية القديمة.

كما تم تخصيص 25 محلاً في السكة الموازية لمحور السوق الرئيس، لعرض الحرف التقليدية المندثرة، وتعكس الحرف مختلف البيئات البحرية والجبلية، وحرف السكان قديماً، ومنها الطب الشعبي، والحلاقة، والخياطة، واستخراج اللؤلؤ، وتعليم القرآن، واستخراج الدبس، والحرف البحرية، وغيرها. وسيوفر المتحف للزوار تجارب واقعية للحرف التقليدية، وستتضم العديد من الورش والفعاليات التي ستعيد إحياء وتعليم هذه الحرف التراثية المهمة.

واطلع صاحب السمو حاكم الشارقة خلال جولته على خطط تطوير عدد من المشروعات المستقبلية بمدينة خورفكان، ومنها مشروع فندق شرق – خورفكان، الذي سيتم العمل عليه على مرحلتين، الأولى على مساحة 1600م2، والثانية على مساحة 3800 م2، وسيوفر للنزلاء كل الخدمات الفندقية.

كما اطلع سموه على مخططات مشروع ترميم حصن المنصور الأثري، والذي يعد أحد الحصون الأثرية المهمة بمدينة خورفكان، وسيشمل الترميم مدخل الحصن والبرج والغرف والفناء الداخلي وأرجاء الحصن.

رافق صاحب السمو حاكم الشارقة خلال جولته كل من الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، والمهندس صلاح بن بطي المهيري، مستشار دائرة التخطيط والمساحة، ومحمد عبيد الزعابي، رئيس دائرة التشريفات والضيافة.

حارة السدرة لؤلؤة التراث

حارة السدرة هو الاسم الذي اختاره صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، لهذه المنطقة، والتي وجه سموه بإعادة إحيائها، وترميم مبانيها في أغسطس من عام 2021.

ويرجع اختيار سموه هذه التسمية إلى شجرة السدرة المشهورة فيها، وكان أكثر ما يميزها تداخلها مع شجرة سمر، مكونتين جذعاً واحداً لكليهما، وكان أهالي المنطقة يطلقون عليها «السدرة الصمرة»، وكانوا يقلبون سين السمرة إلى صاد.

كما اشتهرت هذه السدرة بكونها مقراً لساحة احتفالاتهم بالأعياد والأفراح قديماً، فضلاً عن كونها مكاناً يلجؤون إليه بعد يوم عمل شاق، يستظلون تحت ظلالها للراحة، وللقيام بأعمالهم الخفيفة كالزفانة أو إصلاح ما يلزم

إصلاحه من حبال وجلود ومعاول وغيرها من الأدوات التي تستخدم في الزراعة والرعي والصيد.

افتتح سموّ الشيخ سلطان بن أحمد بن سلطان القاسمي، نائب حاكم الشارقة، حارة السدرة التراثية بمنطقة اللؤلؤية بمدينة خورفكان؛ وذلك بعد ترميمها وإعادة تأهيلها، ضمن المرحلة الأولى لترميم منطقة اللؤلؤية التراثية، إحياء لما تمتلكه من إرث تراثي وثقافي.

وبعد وصول سموّ الشيخ سلطان بن أحمد، والترحيب به من قبل أعيان المنطقة، وسط عزف الفنون الشعبية

متنوعة، تجول سموّه في أرجاء الحارة المكونة من بيوت لأهل المنطقة، وهي بيوت كل من محمد بن سالم بن عبدالله النقبي، ومحمد راشد بن سيف النقبي، ومحمد راشد سعيد العثمني النقبي، وراشد علي الناعور، ومحمد راشد عبدالله النقبي، إضافة إلى مسجد «خالد بن الوليد» التراثي، ومجلسين.

شجرة وقصة

استمع سمو نائب حاكم الشارقة إلى شرح مفصل من الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، حول تاريخ المنطقة، وما تحويه من موروث تراثي وثقافي يعكس البيئة المحلية لسكان المنطقة، وأبرز الظروف المعاصرة لهم.

كما تعرف سموّه إلى ما ستضمه أروقة البيوت من أقسام للأنشطة والفعاليات والخدمات، مثل المكتبة وركن الهدايا، وفعاليات التراث الثقافي والتراث العربي، والحرف الإماراتية، والألعاب الشعبية، ومجلس استقبال مرتادي الحارة. وتعكس حارة السدرة طبيعة المنطقة ومعالمها الجغرافية ومهن أهلها؛ حيث مارس سكان المنطقة المهن البحرية والزراعية والرعي، كما تميزت أراضيها بالخصوبة التي أسهمت في زراعة العديد من الأشجار، مثل النخيل والليمون والمانجو والسدر والغاف والسمر وغيرها.

نزل الرياحين

استراحة في أحضان التراث

افتتح سمو الشيخ سلطان بن أحمد بن سلطان القاسمي، نائب حاكم الشارقة، مشروع نزل الرياحين بمدينة خورفكان، والذي يتكوّن من 20 منزلاً تراثياً قديماً، تم ترميمها في منطقة الشرق بمحاذاة مجرى الوادي، وتحويلها إلى نزل من فئة الأربع نجوم، بمجموع 35 غرفة فندقية، لتكون جاهزة لاستقبال الزوار من الأفراد والعائلات.

بعد إزاحة الستار التقليدي إيذاناً بالافتتاح الرسمي، تجول سموه في أروقة النزل، مطلعاً على ما يضمه من مرافق وبيوت تم ترميمها مع المحافظة على معالمها الأثرية والتقسيمات الأصلية لكل واحد منها، كي تحافظ على الموروث الشعبي، وعبق الماضي، والروح القديمة للمكان، وأهميته التاريخية والسياحية.

استمع سمو نائب حاكم الشارقة، إلى شرح حول دور المشروع في حماية الهوية التراثية للمكان، والحفاظ على

مقتنيات الأجداد، وتسليط الضوء على أماكن معيشتهم، بالإضافة إلى عملية ترميم بيوت النزل التي تمت وفق معايير منظمة اليونسكو، والجهات الأخرى المتخصصة لحفظ الذاكرة الشعبية، والرؤية البصرية والمضمون الاجتماعي لكل معلم تراثي في المكان.

اطلع سموه على التصاميم والتجهيزات الداخلية للنزل، وإجراءات السلامة والأمان المتبعة بما يتوافق مع متطلبات الجهات المختصة، كما زار سموه المنزل الأكبر الذي ترجع ملكيته إلى عائلة «المشتغل»، والذي تم ترميمه ليصبح مطعماً تراثياً فاخراً، يقدم العديد من المأكولات الإماراتية التي ترسخ تقاليد الآباء والأجداد في إعداد الأكلات الشعبية، التي تتكون من مواد ومنتجات متوافرة في البيئة المحلية.

يتكوّن كل بيت من تقسيمات ومساحات متفاوتة تلبي رغبات النزلاء، بما في ذلك غرف للنوم وغرفة المعيشة والليوان وجلسات خارجية، كما يحتوي النزل على حديقة

خارجية زرعت فيها أشجار النخيل والحناء والريحان.. وتم استغلال أكبر بيت في المنطقة ليتضمن منطقة استقبال النزل، ومطعماً، وبعض الخدمات الخاصة بالنزل، ومكاتب الإدارة، بالإضافة إلى مجموعة من المحال الشعبية التي تلائم الطابع التراثي الخاص بالنزل.

حرص معهد الشارقة للتراث، وبالتعاون مع الشركاء والجهات المختصة، على تنفيذ عملية تصميم وترميم البيوت والمعالم التراثية في النزل بأساليب حديثة، للوصول إلى المظهر العام للبيوت التراثية، حيث إن التصميم المتبع يرجع إلى أساسيات وهيكلة الحي الإماراتي القديم، المكون في العادة من بيوت شعبية متقاربة تسمى بـ«الفريج»، تفصل بينها ممرات ضيقة يطلق عليها محلياً «السكيك».

إحياء المناطق التراثيّة
قلب الحياة النابض

فهد علي المعمري
باحث – الإمارات

عندما نتحدث عن التراث، فإننا نتحدث عن سنين قد خلت، وعن حواضر قد مضت، وعن تاريخٍ غائب، وماضٍ حاضر، وعن أنفاسٍ مازالت تتردد بين جدران تلك المناطق القديمة، التي لاتزال صامدة رغم السنين، تسأل من يزورها: أين المكان والإنسان؟ فلطالما عانقت هذه المناطق والأحياء والمباني القديمة الهواء والرمل والمطر، قبل أن تعانق صاحبها الأول، وهو ساكنها وإلفها، الذي جاد بكل ما يملك لبقائها شامخة بأسوارها وغرفها ونوافذها وأبوابها.

لكن تعاقب الأيام، وكرّ الليل والنهار، قد أثقل كاهلها وأخذ آهلها، لتبقى جسداً بالياً طريحاً، تستغيث بمن يحييها بعد موتتها، أو يوقظها بعد رقدتها.

من هنا نبدأ الحدث عن التراث المادي، ومن خلال المناطق التراثية والمباني القديمة التي تشكل حلقة الوصل بين الماضي والحاضر، وترسم صورة هذه أو تلك المنطقة، وذاك أو ذلك المبنى القديم، ولنجعل وجهتنا إلى الإمارة الباسمة، إلى قلب دولة الإمارات العربية المتحدة الثقافي، إلى إمارة الثقافة والتراث، إلى إمارة الشارقة، هذه الإمارة التي تحظى بمكانة تراثية

وتاريخية مميزة، تؤهلها لأن تكون الوجهة الأولى لمحبي التعرف إلى التراث المادي وغير المادي المحلي، غير أن هذه المكانة لم تأت بمحض المصادفة؛ بل أهلتها لها قاعدة تاريخية، وجهود جمة جعلتها في الطليعة، ومن بين أبرز تلك الجهود عمليات الترميم، التي تبناها معهد الشارقة للتراث، وطالت حتى الآن العديد من الأبنية القديمة التي عُمل على تجديدها والحفاظ على طابعها التراثي، لتكون نافذة على شواهد عمرانية في حقبة مضت.

تحظى البيوت السكنية بأهمية خاصة اجتماعية وروحية، تستمدها من قيمتها الشخصية، وذلك بسبب دورها المهم في تأكيد الشعور بالأمان والانتماء والاستقرار والهوية، وفي دولة الإمارات تحتل المباني التاريخية القديمة أهمية كبيرة، سواء بالنظر إلى شكلها الهندسي والمعماري الذي يعكس جانباً مهماً من تاريخ الدولة والمجتمع الإماراتي، حيث يعود بعضها إلى العصر البرونزي، أو من خلال أهميتها التراثية، ما

يجعل الإبقاء عليها وترميمها أمراً بالغ الأهمية، وقد قامت الدولة بجهود كبيرة في سبيل الحفاظ على المباني التاريخية وترميمها وصيانتها، رغم المخاطر الكبيرة التي تكتنف عملية الترميم، وذلك ضمن مشاريع تطوير المناطق والأحياء والمباني والقديمة التجارية والتاريخية، بما يتناسب مع قيمتها التراثية، وبالتالي دعم دورها كعنصر مهم في منظومة العمل الثقافي والسياحي والتجاري في إمارات الدولة كافة.

ومن هذا المنظور، ومن هذه الاستراتيجيات، ومن هذه الرؤى، دأب صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، على الاهتمام بهذا التراث المادي، لاسيّما إعادة إحياء وتأهيل المناطق والأحياء والمباني القديمة في إمارة الشارقة والمدن التابعة لها، في خورفكان وكلباء ودبا الحصن والمنطقة الوسطى، والتي تضم الذيد ومليحة، منذ عقود عدة، وتسارعت وتيرة العمل في هذه المنظومة في السنوات القليلة الماضية، وبلغت ذروتها في بداية عام 2022، وخاصة في شهر مارس، حيث افتتح سموّه العديد من المشروعات التراثية في المنطقة الوسطى والمنطقة الشرقية، ومنها:

1. المرحلة الأولى من مشروع حي الحصن التراثي بمدينة كلباء.
2. بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي.
3. حصن الذيد، وعدد من المشروعات المجاورة للحصن.

وافتتاح هذا الحي يأتي ضمن خطة إعادة إحيائه وترميمه؛ لما تشكله المنطقة من إرث تاريخي وأثري، وشاهد على الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدينة قديماً، ولتشكل معلماً سياحياً مهماً للزوار من مختلف المناطق، وكذلك بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي، الذي تمت إعادة ترميمه وتأهيله، حيث يعد أحد أهم المعالم التراثية في إمارة الشارقة، ومن أبرز الشواهد على الدور الاقتصادي والحضاري العريق للإمارة، وتم بناؤه في الفترة ما بين 1898 و1901 للميلاد، مقابل الحصن التاريخي للمدينة على شاطئ كلباء، والذي شهد في تلك المرحلة حركة تجارية نشطة، تركت آثارها في المشهد الحضاري العام، أمّا مدينة الذيد فهي تلك المدينة العريقة، والضاربة بعيداً في تاريخ المنطقة، فقد تم افتتاح حصن الذيد وعدد من المشروعات المجاورة للحصن، ويتكوّن

الحصن الذي يعود تاريخه إلى 1820م في عهد الشيخ سلطان بن صقر القاسمي، حاكم الشارقة آنذاك، من مبنى مربع الشكل، طوله 32 متراً، وعرضه 26 متراً، ويضم عدداً من الغرف التي تم تحويلها إلى قاعات عرض تحوي مجموعة من المعروضات التاريخية لمدينة الذيد وتراثها.

إن العمل على تحويل المباني التراثية إلى وجهة سياحية، من خلال استخدامها في نشاط تجاري مع الاحتفاظ بالطابع التقليدي للمبنى، فإن ذلك يسهم في إبراز حقبة زمنية مهمة في تاريخ الإمارة، فأهمية المحافظة على المباني القديمة والمواقع التراثية، لابد أنها سوف تسهم بشكل كبير في تعريف الأجيال القادمة بتراث أجدادهم، وماضي آبائهم، فضلاً عن ذلك يتيح لهم فرصة تعرف الموقع وتاريخه عن كثب، حيث إن الأماكن التراثية هي بمثابة الذاكرة التاريخية، وتعتبر مخزوناً تراثياً للأجيال القادمة.

والعالم اليوم في كثير من دوله السياحية يتجه إلى الاستفادة من المواقع التراثية ومبانيها القديمة والتاريخية وكذلك الآثارية، التي تمثل حقبة زمنية مهمة، وذلك لجذب أكبر عدد من السيّاح، ولتعريف العالم بتاريخ البلد وحضارته، كما أن دور المباني القديمة هو دور أساسي ومباشر في تعريف المجتمع وأفراده بماضي الأجداد وتاريخهم، كما أن الاهتمام بالمباني القديمة والاهتمام بالمواقع التراثية، يسهمان إبراز الهوية والثقافة الخاصة بكل بلد أو شعب، والحديث بنصّه يسقط على دولة الإمارات وباقي إماراتها، وتحديداً إمارة الشارقة.

ويأتي هذا التحديد ارتكازاً على اهتمامات ومنجزات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، حاكم الشارقة، الذي لا يدخر وسعاً في قطاع التراث، كما أنه يولي أهمية خاصة في الحفاظ على التراث الحي، وحمايته من المخاطر التي تواجهه؛ لأنه

يؤمن بأن الحفاظ على التراث الحي من خلال الأحياء والمناطق والمباني القديمة، هو الرافد الأساسي للتنميتين الاجتماعية والاقتصادية للمدن التاريخية في كل منطقة.

وتتجلّى عبقرية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، في ارتكازه على العديد من المحاور التي تنهض وترتقي في حفظ التراث، ومنها محور رئيس يشكل أساساً للوصول إلى أفضل النتائج في حفظ التراث الثقافي، أمّا المحور الأول، فهو يبحث في مفهوم الحفاظ العمراني المناطقي المتكامل، أو ما يعرف اختصاراً بالحفاظ المتكامل، والمنبثق من فكرة أن الحفاظ العمراني لا يمكن أن يتم بنجاح من دون اعتبارات التنمية المتكاملة، وهذا المفهوم الرامي على الحفاظ المتكامل المرتبط بالتنمية الشاملة، لم يُطبّق بعد على نطاق واسع في الوطن العرب.

نستخلص ممّا مضى من الحديث، أن العمل على إحياء المناطق والمباني والأحياء القديمة ينعكس إيجاباً على كثير من الجوانب التراثية، فهو يصبغ إمارة الشارقة الصبغة التراثية من خلال العمل الدؤوب والمستمر على إحياء المناطق التراثية والتاريخية بالإمارة؛ للحفاظ على الطابع والهوية التراثية للشارقة، وإيجاد المقومات الكفيلة بزيادة جاذبيتها كمنطقة سياحية وتجارية، ورفع أعداد الزائرين لها، سواء من داخل الدولة أو خارجها، بالإضافة إلى المحافظة على المباني التاريخية الموجودة بالمنطقة، والحفاظ عليها من الاندثار، وبقائها حيّة تحاكي المستقبل، وتعرّف الجميع بتراث الشارقة وتاريخها وقراها وأحيائها ومناطقها.

حاكم الشارقة

والمشاريع التراثية في الإمارة

يقود صاحب السموّ حاكم الشارقة مشروعاً ثقافياً رصيناً منذ ما يقارب الخمسين عاماً، يتناول كل مجالات الثقافة في الإمارة، وما نجده اليوم من تطور وتنمية مستدامة لهذه المشاريع هو في الحقيقة استكمال لهذه القيادة الناجحة في المجال الثقافي.

د. سالم زايد الطنيجي
كاتب وباحث تراثي – الإمارات

والسؤال الذي يطرح نفسه: إلى أين تمضي إمارة الشارقة في مشروعها الثقافي؟ والإجابة هنا هي استكمال لبقية المشاريع، وما نحن معنيون به هو التراث الثقافي، ونرى أن صاحب السمو حاكم الشارقة، حفظه الله، يرعى هذا الجانب، ويعطيه جلّ الاهتمام، وما قدمه سموه تعجز عنه الكلمات؛ لأننا نرى الكثير من الشواهد المكانية وقد أعيد إحياؤها من جديد، والدليل على ذلك المشاريع الجديدة في الذيد، حاضرة المنطقة الوسطى، وكلباء عروس الشرق.

أكد صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، أن لمدينة الذيد شواهد تاريخية أصيلة، تمثلت في العديد من المواقع الأثرية التي لها دلالات كثيرة على إرث وصفات أهل المنطقة، وما شهدته من ظروف مختلفة.

جاء ذلك في كلمته التي ألقاها صباح الخميس الموافق 2022/2/24، بحضور الشيخ سلطان بن أحمد بن سلطان القاسمي، ولي العهد نائب حاكم الشارقة، والشيخ عبدالله بن سالم بن سلطان القاسمي، نائب حاكم الشارقة، بمناسبة افتتاح حصن الذيد، وعدد من المشاريع المجاورة للحصن.

وهنأ حاكم الشارقة في كلمته أهل المنطقة بافتتاح حصن الذيد، مشيراً إلى أن ما افتتح اليوم هو جزء من مشروع كبير، سيمتد حتى البطحاء، وسيضاف إليه عدد من المرافق الحيوية استكمالاً للبنية التحتية والتاريخية والسياحية، التي ستمثل إضافةً تستوعب أنشطة الأهالي في مختلف المناسبات، والزوار من كل المدن والمناطق.

وتناول صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، معاني كلمة «الذيد» ومرادفاتها المتعددة، موضحاً أنها مستمدة من الذود، وتعني الدفاع والمقاومة ضد كل ما هو غير أصيل، وأن الذيد، يأتي من الأنفة، والارتفاع والشمم، وهو الكرم وعزة النفس والنخوة والشجاعة، مشيراً إلى أهمية هذه المعاني والمحافظة عليها.

وعن ارتباط الذيد بالماء، أشار سموه إلى أنها كانت منذ القدم تأتيها المياه من فوقها من الأمطار وجريان الأودية، ومن تحتها من أفلاج الشريعة، وتأثرت بقلة الأمطار، وجفاف الأفلاج التي عُمل على إحيائها دون التأثير في بنيتها الرئيسة، مؤكداً أن الماء من نعم الله وخيراته، وباللجوء إليه والاستغفار يزيد ويكثر، وشدد على ضرورة الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وتقوى الله، عزّ وجلّ.

واستقبل سمو حاكم الشارقة لدى وصوله إلى حصن الذيد، بأهازيج الفرق الشعبية التي رحبت به، وحيّت جهوده ومكارمه السخية، ثم يزيح بعدها الستار التقليدي، معلناً افتتاح حصن الذيد.

وتجوّل بعدها في أروقة وأجنحة حصن الذيد، الذي يعتبر شاهداً على التاريخ العريق للمدينة التي شكلت واحة مزدهرة، تتوافر فها المياه العذبة والنخيل المثمر والمباني الدفاعية التي توفر الأمن والأمان لسكانها.

ويتكون الحصن الذي أقيم في 1820 في عهد الشيخ سلطان بن صقر القاسمي، حاكم الشارقة آنذاك، من مبنى مربع الشكل، طوله 32 متراً، وعرضه 26 متراً، ويضم عدداً من الغرف التي تحولت إلى قاعات عرض تحوي مجموعة من المعروضات التاريخية لمدينة الذيد وتراثها.

وتضم قاعة الوثائق مجموعة من الوثائق عن حصن الذيد، بشكل خاص، ومنطقة الذيد بشكل عام، من الأرشيفات القديمة مثل الأرشيف البريطاني، وكذلك الكتابات المحلية التي جاء فيها ذكر الذيد، والتي تسرد الحقائق الجغرافية والوقائع السياسية، والأحداث الاجتماعية التي دارت بالمنطقة.

وتعرض قاعة الأسلحة أنواعاً عدة من الأسلحة التي استخدمت في الذيد قديماً، منها السهام الحجرية

التي استعملت في فترات زمنية تمتد للألف الرابع قبل الميلاد، إضافة إلى السيوف، والخناجر، وملابس المحاربين، وعدد من نماذج الأسلحة النارية والذخائر مثل البناد.

أما غرفة الشيخ فتحتوي على عدد من الأغراض الشخصية التي كان يستخدمها الشيخ خلال إقامته بالحصن، الذي كان بمثابة مقر لحاكم الشارقة أثناء إقامته بالذيد، سواء خلال تنقله إلى المنطقة الشرقية، أو قضائه فترة بجوار واحة الذيد.

ويضم الحصن الليوان، وهو الرواق المظلل الذي كان مكان التجمع العائلي لأهل الحصن، وقاعة دروب القوافل والتجارة التي تشتمل على عدد من الجداريات التي تصف دروب القوافل من وإلى مدينة الذيد، كما يعرض الحصن مجسمات بالحجم الأصلي للإبل، ومعدات التحميل وأصناف البضائع التي كانت تحملها أثناء الرحلات.

أما ردهة المطبخ، فتحتوي على نماذج لكل الأدوات التي كانت تستخدم قديماً في عملية الطبخ وأنواع التوابل والحبوب والخضراوات، حيث تنوعت الأطعمة التي كان يتم تحضيرها في الحصن للعائلة والجنود، كما تميزت الموائد الخاصة بالمناسبات والاحتفالات، والتي كانت تحضر في المطبخ أو ساحة الحصن.

ويشكل مخزن الحبوب والزكاة انعكاساً لأمان الحصن، حيث كان يضع فيه المزارعون أرزاقهم من الثمار، التي تفرز، ويخصص جزء منها للزكاة، كما كانت تخزن فيه العديد من المواد الغذائية، أما غرفة المدبسة فتحتوي على عرض مرئي ومجسمات دقيقة لوصف مراحل صنع دبس التمر.

ثم انتقل حاكم الشارقة إلى افتتاح السوق خلف الحصن، والذي بني بالكامل من الدعون والأخشاب بتصميم متطور يراعي معايير السلامة والأمان دون تغيير النمط المعماري التراثي.

ويحتوي السوق على عشرات المحال، من المطاعم والمخابز والمقاهي والمحال المخصصة لأهالي الذيد الذين يبيعون فيها منتجاتهم المحلية والمنزلية والتراثية، ويشتمل كذلك على جلستين للزوار بالمدخل الأوسط للسوق.

وبجانب السوق جهز مضمار مصغر للهجن، تمر فيه الإبل لتجسيد القوافل القديمة التي كانت تعتبر الذيد محطة لها، بالإضافة إلى 300 موقف سيارات لزوار الحصن والسوق.

ثم اتجه حاكم الشارقة إلى زيارة مسجد الشريعة وسط المزارع والشريعة، وبني المسجد على ربوة طينية منخفضة وسط النخيل، وبجوار ساقية الفلج التي كان المصلون يتوضؤون منها، وبني المسجد في أصله من الطوب الطيني، والصاروج، كما رصفت الأرضية الداخلية بالصاروج، وسقف المسجد بجذوع النخيل المستندة إلى جدرانه، بالإضافة إلى عمودين في الوسط، وللمسجد محراب مقوس تم الاستدلال عليه بالتقنيات الأثرية والصور القديمة.

وافتتح حاكم الشارقة بعد ذلك مسجد «أم سلمة» بالجهة الشرقية لحصن الذيد الذي أعيد بناؤه ليتوافق تصميمه مع الحصن ومع المنطقة المجاورة.

واختتم جولته بافتتاح السوق الغربي على أطراف الساحة الغربية المقابلة للبوابة الرئيسة للحصن، ويحتوي على 10 محال تجارية، اختيرت مجالات عملها بعناية لتلبية كل الأذواق والاحتياجات، ويستهدف جميع الزوار من مختلف الأعمار والاهتمامات.

في الثامن عشر من شهر مارس افتتح صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، وبحضور سمو الشيخ سلطان بن أحمد بن سلطان القاسمي، نائب حاكم الشارقة، المرحلة الأولى من مشروع حي الحصن التراثي بمدينة كلباء.

وتجوّل صاحب السمو حاكم الشارقة في أروقة الحي الذي تأتي إعادة إحيائه وترميمه بناءً على توجيهات سموه؛ لما تشكله المنطقة من إرث تاريخي وأثري شاهد على الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدينة قديماً، ولتشكل معلماً سياحياً مهماً للزوار من مختلف المناطق.

كما اطلع سموه على المراحل المتبقية لعمليات إعادة الترميم وإحياء المنطقة، واستمع إلى شرح مفصل حول سير الأعمال فيها، وأبرز الشواهد الأثرية المكتشفة خلال عمليات الترميم.

ويضم الحي المستشفى الذي أعيد تصميم أبوابه مثل شكلها الرئيس في السابق، بالإضافة إلى عرض المقتنيات الخاصة بالمعالج حينها في غرف العرض الخاصة به، كما يضم الحي وفقاً للبيانات والمعطيات 15 بيتاً قديماً، كانت قد هدمت مسبقاً والتي أُعيد بناؤها وافتتاح 5 منها في المرحلة الحالية، لتستكمل البيوت المتبقية في المراحل القادمة. ويضم الحي السوق التراثي الذي أعيد بناؤه بحجم أكبر من حجمه الأصلي ليضم 16 محلاً تجارياً لأصحاب المشاريع من رواد الأعمال الشباب المواطنين، أما المسجد التراثي القديم، فقد تمت إعادة تجديده وصيانته، وإجراء عملية توسعة له، نظراً لكونه تعرّض للعديد من عمليات الهدم والبناء سابقاً، وقد روعي فيه إعادة وضع الرسومات والنقوش الموجود سابقاً على المنبر والمحراب.

كما افتتح صاحب السمو حاكم الشارقة، بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي، الذي تمت إعادة ترميمه وتأهيله، حيث يعد أحد أهم المعالم التراثية في إمارة الشارقة، ومن أبرز الشواهد على الدور الاقتصادي والحضاري العريق للإمارة، وتم بناؤه في الفترة ما بين 1898 و1901 مقابل الحصن التاريخي للمدينة على شاطئ كلباء، والذي شهد في تلك المرحلة حركة تجارية نشطة، تركت آثارها في المشهد الحضاري العام.

وكان بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي قد شهد عمليات ترميم سابقة، ليصل اليوم إلى فتح أبوابه للزوّار للتعرف إلى مقتنياته التاريخية، وهندسته التي تحمل بصمة عربية تاريخية إسلامية، وليروي عبر مقتنياته حكاية المنطقة ودورها التاريخي. حضر الافتتاح كل من الشيخ خالد بن عبدالله القاسمي، رئيس هيئة الشارقة للجمارك والموانئ والمناطق الحرة، والشيخ سالم بن عبدالرحمن القاسمي، رئيس مكتب سمو الحاكم، والشيخ هيثم بن صقر القاسمي، نائب رئيس مكتب سمو الحاكم بمدينة كلباء، والشيخ محمد بن حميد القاسمي، رئيس دائرة الإحصاء والتنمية المجتمعية، وعدد من كبار المسؤولين ورؤساء الدوائر الحكومية وأعيان المنطقة.

جهود متواصلة لإحياء الموروث في المنطقة الوسطى

التراث حالة مستمرة ودائمة، وليس كما يعتقد البعض أنه منفصل عن الواقع، وبعيد عن المستقبل، ولا كما يحسبه البعض عائقاً عن التطور، وحاجزاً عن التقدم، ولا هو سد يمنع البناء والرقي الحضاري، التراث إن أمعنا النظر فيه، وفي مختلف جوانبه، لا يتعلق بمرحلة ماضية محددة وحسب، بل ينمو ويستمر؛ لأن كل ما يخلفه الإنسان من قيم وسمات ومعالم وتركات هو تراث.

فاطمة سلطان المزروعي
رئيس قسم الأرشيف الوطني

ومن هذه النقطة التي توضح ديمومة التراث، والملاصقة للجهد البشري والمنجزات التي تتحقق، نصل إلى السؤال: كيف يمكن الحفاظ على ما جمع من التراث سابقاً للإبقاء عليه لخمسين عاماً قادمة؟ والحقيقة أننا نستطيع المحافظة على التراث بشكل دائم ومستمر، وهذا ما تفعله حكومة الشارقة، وبالأخص معهد الشارقة للتراث، فقد أخذ المعهد على عاتقه مسؤولية الحفاظ على التراث في جميع المناطق في الشارقة، فقد

افتتح سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، أولى فعاليات الدورة الـ19 من مهرجان أيام الشارقة التراثية في المنطقة الوسطى من الإمارة في حصن الذيد، كما سوف تتضمن الاحتفالية مجموعة كبيرة من الفعاليات، وسوف تعكس أهمية الموقع، وكونه يمثل أيقونة تراثية خالدة في قلوب وذاكرة أهل المنطقة، وفي تاريخ الآباء والأجداد، ويحتل أيضاً موقعاً استراتيجياً وتاريخياً مهماً في الذيد.

لقد استطاعت «أيام الشارقة التراثية» منذ بدايتها في شهر إبريل من عام 2003، وبتوجيهات ودعم من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، رعاه الله، وبرؤية ثاقبة ومسابقة تتناسب مع المستقبل.

ومنذ انطلاق هذه الفعاليات قبل 20 عاماً، كان أهم ما يتميز به هو التنوّع واختلاف كل دورة عن العام الذي قبله، ما جعل التنامي والتميز عاماً بعد الآخر، هو السمة التي صبغت هذه الأيام التي لقيت صدى بين الناس، وانتشرت فعالياته، وبرامج لتتجاوز الإمارات، وباتت تستقطب المهتمين والخبرات والمتخصصين في مجالات التراث وحمايته. ولعل أيضاً أهم ما يميز هذه الأيام، تركيزها الشامل والعام على التراث، حيث تجد الثقافة والمعرفة التراثية، وتجد المهن والحرف والأدوات والمعدات التي ابتكرها الأولون، وفي اللحظة نفسها جهود مخلصة لتعريف الأجيال بأهمية كل تلك المبتكرات، وكيف أنها كانت عماد الحياة للآباء والأجداد، وكيف كانت تحدث فرقاً جوهرياً وكبيراً في حياتهم.

تقف خلف هذه الاحتفالية التراثية، خلف هذه الأيام التي أسميها أيام الوفاء للآباء والأجداد، إدارة التراث في دائرة الثقافة والإعلام بإمارة الشارقة. والتي أحسنت الاختيار لانطلاق موعد هذه الأيام في كل عام، بالتزامن مع الاحتفالات بيوم التراث العالمي الذي تنظمه «اليونسكو» في الـ18 من إبريل كل عام. ومن هنا

اكتسبت هذه الأيام الصبغة العالمية، لتصبح انعكاساً لهوية الشعب الإماراتي، ومثالاً واضحاً للعمق التاريخي والتلاحم الإنساني بين مختلف الأطياف الزمنية لإنسان هذه الأرض المباركة. ولا أجد أبلغ من تلك الكلمات التي تفضل بها الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس اللجنة العليا لأيام الشارقة التراثية، حيث قال: «في كلّ عام في (أيام الشارقة التراثية)، تتحوّل منطقة قلب الشارقة إلى بوابة تعرّف العالم بأسره إلى حضارة وثقافة الشعوب، تروي تقاليدهم وخصوصيتهم؛ لأننا ندرك القيمة الكبيرة التي يشكّلها هذا المكان، فبين أركانه الكثير من المشاهد والصور التي تؤرّخ لمرحلة ذهبية من تاريخ الإمارة، وتقف شاهدة على عراقة وأصالة الماضي الجميل، ولهذا أردنا أن تكون المنطلق الرئيس لهذه الفعالية التي نأمل في ظلّ هذه الظروف الاستثنائية أن تحقق غايتها في نقل القيمة الحضارية والمعنوية، التي تجسّدها الشارقة إلى محيطها والعالم أجمع».

أكد صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، أن المشروعات الحالية والمستقبلية في إمارة الشارقة بشكل عام، وفي المنطقة الوسطى بشكل خاص، لها العديد من العوائد والفوائد الإيجابية على المنطقة وأهلها، مشيراً سموه إلى أن تأثير هذه المشروعات يمتد إلى مسارات متعددة، من حيث تأهيل أبناء المنطقة بالعلم النافع، وإحياء موروثها، وتوفير فرص العمل، والحفاظ على البيئة ومكوناتها، والإسهام في تنمية تنوعها البيئي الحيوي.

لقد شهدت المنطقة الوسطى تطوراً ملحوظاً على صعيد المرافق والخدمات الحيوية، ونقلة نوعية، شملت مجالات الحياة كافة، وواكبت النهضة الشاملة التي تشهدها الدولة، وحظيت بطفرات تنموية كبيرة، عبر مجموعة من الإنجازات النوعية والمشاريع وفق أعلى المعايير والمقاييس النموذجية، التي تتكامل مع الازدهار الذي تشهده إمارة الشارقة، وهو ما أهّلها لأن تكون متكاملة الخدمات.

وسجلت مدن المنطقة الوسطى «الذيد، البطائح، الحمرية، المدام، مليحة» تقدماً كبيراً على مختلف الصعد، وفي مجالات النهضة الحديثة كلها، والتي أكدت أن المنطقة الوسطى تتبوأ مستقبلاً واعداً، ولاسيما أنها تمتلك بنى تحتية على أعلى المقاييس والمستويات العالمية، كما تمتلك مقومات النهضة في شتى المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية والزراعية والاقتصادية والرياضية وغيرها.

حيث شكل افتتاح حصن الذيد، إضافة جديدة مهمة إلى منظومة القطاع السياحي في إمارة الشارقة، والتي تشكل جزءاً من مشروعات سياحية أخرى ستشهدها المنطقة الوسطى خلال المرحلة المقبلة، ضمن استراتيجية الإمارة لتطويرها وتعزيز بنيتها التحتية بشكل يواكب طموحات وتطلعات الشارقة لبناء قطاع سياحي متكامل ومستدام، يقدم خيارات واسعة أمام زواره من داخل الدولة وجميع أنحاء العالم.

كما أن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، أكد أن لمدينة الذيد شواهد تاريخية تمثلت في العديد من المواقع الأثرية التي لها دلالات كثيرة على إرث وصفات أهل المنطقة، وما شهدته من ظروف مختلفة.

لقد شهدت الشارقة انطلاق فعاليات «احتفلوا بالذيد»، والتي تقام في حصن الذيد، حيث تتضمن عرضاً ضوئياً على واجهة الحصن، يعرف الجمهور على أهمية المنطقة، الهدف من هذه الفعالية هو الترويج للمكان الذي يعتبر حصناً تاريخياً أثرياً بني في عام 1820م، وذلك في عهد حاكم الشارقة آنذاك الشيخ سلطان بن صقر القاسمي، ويعرض فيه المقتنيات الأثرية لأهل المنطقة وتاريخها.

وتسعى «الأيام» إلى إبراز أنشطة الحصن ودوره الحيوي في دعم مفهوم ثقافة الموروث الشعبي وتراث الآباء والأجداد، لكون هذا الحدث يأتي من منطلق حرص قيادة دولة الإمارات العربية المتحدة، نحو الحفاظ على تراثها الحضاري والثقافي، وتعزيز الهوية الوطنية للأجيال القادمة.

المنطقة الوسطى

واجهة تاريخية لها تاريخها العريق

المنطقة الوسطى هي واجهة تاريخية لها تاريخها العريق، تشمل الذيد وخورفكان وكلباء ودبا الحصن، منطقة لها مناظرها الطبيعية التي تمتاز بمزارع النخيل والكثبان الرملية الواسعة الشاسعة المترامية الأطراف، التي كانت القوافل التجارية تشقّ رمالها سعياً وراء الرزق، تنقل الأهالي من مكان إلى آخر عبر ربوعها المترامية، تمتاز هذه المنطقة بالعديد من الصفات التي تميزها عن غيرها، بعادات أهلها وتقاليدهم وسماحتهم وألفتهم وحبهم لبعضهم بعضاً.

مريم سلطان المزروعي
كاتبة – الإمارات

كما عُرفت بكثرة المواقع الأثرية التي تنقلك من خلالها وبين جوانبها المملوءة بالذكريات التي تخطها على جدرانها، وبين جنباتها، وفي لقاء مع صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، تحدث سموه عن طبيعة هذه المنطقة الوسطى، وقد ذكر سموه أنها ذات طبيعة صحراوية بدوية، فكلمة الصحراء كلمة عربية، وإذا رددتها إلى أصلها الثلاثي قلت «صَحِرَ»؛ أي تغير لونه غُبرةً بِحُمرة، حتى الأسد الذي يتميز بلون الصحراء يسمى المصحر، وهو اسم من أسماء الأسد، وتطرق سموه إلى الحديث عن المنطقة بقوله: «في القديم كانت الأودية تنزل من الجبال، وكل الخيران الموجودة على الساحل هي مصبات أنهر، ولكن من بعد ذوبان الجليد، تصحّرت الدنيا؛ لأنها كانت خضراء»، كما أوضح سموه أن هذه المواقع غنية بالمياه الجوفية، وتقع في بقعتين: الأولى هي الفاية (الفاجّة)، ونلاحظ منطقة البحايص؛ أي كانوا (يبحصون الماء ويشربونه)، والمنطقة الثانية هي عجارب (عقارب)، فيها كميات مياه كثيرة موجودة، وهاتان المنطقتان حجزتا مياه الوديان بسبب وجود الجبال، بينما منطقة الذيد وفلج المعلا ليس فيها حاجز يحجز الماء؛ لذلك المياه تنحدر للبحر، ومن مسميات الطرق: طريق مليحة، وطريق الذيد.

وإذا جئنا إلى مليحة، فإنها تعتبر من أهم المناطق الأثرية، ليست على مستوى الشارقة فحسب، بل على مستوى دولة الإمارات العربية المتحدة، وقد تم ترشيحها كموقع للتراث العالمي من قبل منظمة اليونسكو. ودبا الحصن هي المدينة الهادئة الواقعة على الساحل الشرقي المحاذي لبحر عمان، وهي جزء من إمارة الشارقة، عُرفت بمكانتها التاريخية، كما كانت موطناً رئيساً للهجرات، وكذلك ارتبط اسمها بأسواق العرب بالجاهلية، وكان يطلق على هذا السوق اسم سوق دبا، وقد أطلق عليها صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، اسم «المدينة الفاضلة» عام 2006، وقد قال سموه: «نتمنى أن تعملوا معنا للارتقاء بهذه المدينة؛ لتصبح المدينة الفاضلة»، وقد شهدت هذه المنطقة العديد من الطفرات والنهضة العمرانية، والتطور الملحوظ على مستوى الخدمات، بفضل الدعم اللامحدود من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، ومن أهم المعالم التراثية الموجودة في دبا الحصن قلعة دبا، التي أُمر صاحب السمو، حفظه الله، بترميمها، فهذه القلعة تشكل سجلاً تاريخياً حافلاً ومشرّفاً، عرفها التجار والقادة والعلماء، كما كان لها دور في الحرب وحماية المنطقة من الغارات، وقد لعبت أسواقها دوراً كبيراً في الماضي في عملية التجارة والبيع

والشراء، فهي مَعلم رئيس للمنطقة، ومركز تاريخي لأهالي المدينة، وقد اكتسبت القلعة أهميتها من أهمية المكان بما فيها من ذكريات تراثية تاريخية، كالمناسبات والأعراس والاحتفالات التي كانت تقام بالقرب منها، وقد احتوت على آبار (طويان) عدة، من أهمها طوي الشيخ وطوي غيدة وطوي أم كبيدة.

لقد قام سُموّه بالعديد من المشاريع النهضوية والثقافية والتنموية في المنطقة الوسطى، فقد حددت ميزانيات ضخمة لتطوير الطرق، إلى جانب اعتماد مشاريع جديدة ومتميزة تركز على البنية التحتية لمدينة الذيد، بمستويات عصرية وراقية تضاهي المدن الكبرى، ولا ننسى دور معهد الشارقة للتراث بفعاليته الثقافية المتميزة، فأهم هدف من أهداف المعهد صون وحماية التراث الثقافي بشقيه المادي والمعنوي، ورعاية الكنوز البشرية الحيّة، وتنمية الحرف اليدوية والتوعية والتثقيف بأهمية التراث، فقد استطاع أن يسلط الضوء على العديد من المشاريع، منها «مشروع حصن الذيد»، من خلال إطلاق فعالية «احتفلوا بالذيد»، وهذا الحصن الذي يمثل رمزاً تاريخياً شامخاً لأهالي المنطقة الوسطى، فقد قدم عروضاً ثقافية مبهرة، بلوحات فنية تخط ألوانها البراقة على أساسات قوية، تجسد الموروثات الثقافية الأصيلة، وتسرد قصص الآباء والأجداد، وكذلك فعاليات «أيام الشارقة للتراث» المتضمنة للعديد من الباقات المتنوعة والمبهرة من أنشطة وبرامج ومحاضرات، يقول الدكتور عبدالعزيز

المسلم، رئيس معهد الشارقة للتراث رئيس اللجنة العليا المنظمة لأيام الشارقة التراثية، عن فعاليات الدورة الـ19 لأيام الشارقة التراثية: «إن فعاليات الوسطى تتسم بالفرادة والتميز، كونها تعكس البيئة التراثية للبادية بشكل خاص، وينطلق شعاعها الثقافي من حصن الذيد، الذي تم إحياؤه مؤخراً، بتوجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، ويمثل أيقونة تراثية خالدة في قلوب وذاكرة أهل المنطقة، وفي تاريخ الآباء والأجداد، ويحتل أيضاً موقعاً استراتيجياً وتاريخياً مهماً في الذيد»، وقد شارك في هذه الدورة 33 دولة و28 جهة حكومية اتحادية ومحلية، وتم عرض «خمسون عاماً من حكم سلطان» في ساحة التراث، يوثق بأسلوب شائق ونمط تكنولوجي جذاب مقاليد حكم صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي منذ توليه الحكم حتى الآن، وقد عمل معهد الشارقة بكل حب على إقامة «أيام الشارقة التراثية» في مناطق مختلفة، منها خورفكان وحي السدرة، وكلباء، ومدينة دبا الحصن، والذيد، ومدينة الحمرية، في شهر مارس 2022 تحت شعار «التراث والمستقبل». وهذه الجهود المبذولة من قبل معهد الشارقة قد أظهرت مدى الحرص الشديد على توثيق ومتابعة كل ما يتعلق بتراث وتاريخ المنطقة، ورصد كل التغيرات الحاصلة وعلى المستويات كافة.

300 ألف زائر في ختام «أيام الشارقة التراثية» في دورتها الـ 19

اختتمت فعاليات أيام الشارقة التراثية في دورتها التاسعة عشر والتي نظمت تحت شعار "التراث والمستقبل" في منطقة ساحة التراث في قلب الشارقة من 10 ولغاية 28 مارس الماضي، وصاحبتها فعاليات مماثلة في كل من مدن الذيد وخورفكان ودبا الحصن وكلباء ووادي الحلو والحمرية، لتشكل في مجملها لوحة متكاملة جمعت مختلف فنون التراث وتقاليدها وألعابها وامتزجت في مساحة رحبة ومشتركة مع الموروث الإنساني لشعوب

العالم وحضاراتها المختلفة، وقد لاقت الفاعليات إقبالاً واسعاً من الجمهور بشكل يومي.

أكد سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلم، رئيس معهد الشارقة للتراث، رئيس اللجنة العُليا للأيام، أن الدورة التاسعة عشرة من أيام الشارقة التراثية، حققت نجاحاً استثنائياً سواءً على صعيد المشاركة أو الحضور، بفضل ما تتضمنه من فعاليات متنوعة ومناسبة لكافة أفراد المجتمع وفي ظل تحقيق رؤية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، بأن يظل التراث جزءاً من الهوية الوطنية الذي يربط بين الثقافات، وذلك ما انعكس بشكل واضح في الإقبال الكبير والحضور المتميز في هذه الدورة النوعية، حتى فاق عدد الزوار كل التوقعات بتجاوزه 300 ألف زائر، مما يبرز لنا تعطش الجمهور وتعلقه بالأيام التراثية.

وتوجه سعادته بالشكر والتقدير إلى كافة فرق العمل،

والشركاء، والمشاركين، والمتطوعين، والإعلاميين، والزوار، على حرصهم على المشاركة في هذه الدورة، والمساهمة في نقل التراث الإنساني والتعريف به، وإبراز دوره في تنمية وتطور الإنسان وتنوع وثراء المجتمع، مضيفاً أن أيام الشارقة التراثية أصبحت حلقة الوصل بين الماضي والمستقبل، من أجل حاضر ينهض بالنجاحات وينمو بالإنجازات التي تحقق السعادة والنهضة والازدهار.

وفي اليوم الأخير من هذا الكرنفال التراثي الذي امتد على مدى 18 يوماً متتالياً، عقد الحفل الختامي للفعاليات على مسرح الأيام، بحضور لفيف من كبار الضيوف والمسؤولين وجماهير غفيرة حرصت على المشاركة في هذا الحدث حتى ساعاته الأخيرة.

بدأ الحفل باستعراض الفرقة الاستعراضية الإسبانية مع أنغام شجية ورقصات تقليدية معبرة نالت إعجاب الحضور، تلتها كلمة أبوبكر الكندي المنسق العام لأيام الشارقة التراثية الـ19 رحب فيها بالجميع، وقال: إن الأيام نجحت هذا العام في تحقيق الأهداف الكبرى المنشودة، والكامنة في التعريف بالتراث والترويج له والتذكير به، وزرع قيمه وغرسها في نفوس الأبناء والنشء، من خلال البرامج الغنية والفعاليات النوعية،

والورش التدريبية التي استقطبت الجمهور من مختلف الفئات والمستويات، ودفعته إلى التجاوب والتفاعل مع ما تقدمه الأيام التراثية من مضمون ثري وغني، يحقق المتعة والفائدة.

وأوضح الكندي أن البرامج الثقافية والأكاديمية المختلفة التي حفلت بها الأيام أسهمت في مناقشة العديد من القضايا المرتبطة بالتراث والمستقبل، والتي خلصت إلى جملة من التوصيات لخصها في العمل على إجراء مسوحات ميدانية ودراسات علمية تسهم في توثيق التراث الثقافي والمحافظة عليه من الضياع والاندثار، ضمن العمل العربي المشترك، مع ضرورة الاستفادة من التقنيات الحديثة والتكنولوجيا الجديدة في صون التراث وحفظه.

كما أكد من ضمن جملة التوصيات على مستقبل التراث بوصفه المعبر عن الهوية المحلية والخصوصية الثقافية وصمام الأمن والأمان للمجتمع، داعياً إلى الاهتمام بالبعد الاقتصادي في عملية المحافظة على

التراث، جنباً إلى جنب مع مضاعفة الجهود وتكثيفها للتعريف بالتراث فكرة وموضوعاً ودراسة.

ثم قام الكندي بتكريم الشركاء والرعاة والجهات الداعمة والمشاركة والتي بلغت 60 جهة مختلفة، فضلاً عن تكريم أفضل تطبيق لشعار (التراث والمستقبل)، والتي فاز بها راشد مهير الكتبي عضو المجلس البلدي في الذيد، وكل من ناصر سعيد الطنيجي وهزاع جمعة الطنيجي المنظمين من بلدية الذيد، كما تضمن الحفل إجراء السحب على جوائز جواز السفر الإلكتروني والجائزة الكبرى على سيارتين.

شُكر خاص للإعلاميين من داخل الدولة وخارجها

من جانبه، شكر أحمد سالم البيرق، رئيس اللجنة الإعلامية، مدير إدارة الاتصال المؤسسي في معهد الشارقة للتراث، الصحفيين والإعلاميين من داخل الإمارات وخارجها، على جهودهم في تغطية أخبار أيام

الشارقة التراثية، ونقل رؤية الشارقة واحتفائها بالثقافة والفن والتراث إلى العالم، على مدار الأيام ومن مختلف مواقع إقامة الفعاليات والعروض، وهو ما أسهم في زيادة التفاعل مع هذا الحدث السنوي الضخم، وعزز من أعداد الحضور الذين تسابقوا على متابعة أكثر من 500 فعالية متنوعة.

وأكد أحمد البيرق أن الخطة الإعلامية التي تم إعدادها قبل انطلاقة الأيام، حققت جميع أهدافها وتميّزت بتنوعها وشموليتها وتعدد اللغات التي أفردت من خلالها وسائل الإعلام المحلية والعربية والعالمية، مساحات واسعة لها، لإبراز ما حفلت به أيام الشارقة التراثية من نماذج جمعت التراث الإنساني على أرض الإمارة، التي تمد دائماً قنوات التواصل مع الثقافات المختلفة، لتظل الأيام المهرجان التراثي الأكبر والأهم على مستوى الدولة والمنطقة.

المقهى الثقافي.. إثراء الفكر والمعرفة

كان للمقهى الثقافي حضور قوي من خلال مجموعة من الجلسات الفكرية والثقافية المختلفة، وفي هذا الإطار قال الدكتور مني بونعامة مدير إدارة المحتوى والنشر ورئيس اللجنة الثقافية: أكدت أيام الشارقة التراثية في دورتها التاسعة عشر، التي عقدت تحت شعار (التراث والمستقبل)، على أهمية التراث بوصفه جسراً للعبور الآمن إلى المستقبل من خلال مجموعة من المكنات التي طرقها وطرحها نخبة من الخبراء والباحثين والأكاديميين في المقهى الثقافي أو البرامج الأخرى، ما يستدعي إيلاء التراث مزيداً من الاهتمام في سياق السباق نحو المستقبل وما يواكبه من تطور تكنولوجي وتقدم تقني وذكاء اصطناعي يغزو العالم، ونحن في المقهى الثقافي أن نستحضر هذا الشعار ونضمنه في مختلف الجلسات الثقافية لمناقشته ومقاربته وتقديم رؤى وتصورات جديدة بإمكانها أن تكون أساساً تبنى

عليه استراتيجيات ورؤى مستقبلية لمحاولة الحفاظ على التراث.

وأوضح أن اختيار شعار المهرجان لهذه الدورة راعى وبشكل دقيق ومدروس استكمال دولة الإمارات عامها الخمسين بنجاح ودخولها في أولى سنوات الأعوام الخمسين التالية بكل ثقة وتفاؤل بالمستقبل، مستلهماً في ذلك الأفق الاستشرافي للدولة في خطواتها المتسارعة نحو المستقبل بكل هدوء وتأن، فحاولنا استحضار هذا المفهوم في فعاليات المهرجان هذا العام

واعتبر أن أهمية انعقاد الأيام هذا العام تحت شعار (التراث والمستقبل) أنه على مستوى الدرس الأكاديمي والعلمي عانى الإنسان العربي من العديد من المقاربات والتخمة العلمية حول الغزو الثقافي والاختراق الفكري والحضاري والعولمة وآثارها السلبية لكنه لم يضع الحلول، التراث في خطر، ولم يقدموا على المستوى الشعبي حلولاً من شأنها أن تنتشل هذه المجتمعات من هذا الواقع وعبوره مع التراث بسلاسة وأمان إلى المستقبل دون أن يصبح ممسوخاً متغيراً لا جذور له.

وأضاف بونعامة: طالما أننا الآن ونحن في عام 2022 نطرح هذا الإشكال ونسعى لمعالجته ومقاربته، فمن الطبيعي أن تكون التحديات أكبر وأكثر صعوبة والإشكالات أوسع وأكثر تجذراً في واقع المجتمعات في المستقبل المنظور ومرور عقود من الزمن.

وقد حاولنا جهدنا خلال هذه النسخة إضفاء طابع من الإمتاع والتشويق للجمهور في الفعاليات المصاحبة لجلسات المقهى من خلال إفراد مساحة لإطلاقات الكتب والإصدارات الحديثة التي تم فيها توقيع العديد من الإصدارات الغنية والمهمة والتي بلغت 13 كتاباً وإصداراً وعلى رأسها كتاب (التراث والمستقبل) الذي

يمكن اعتباره كتاب الأيام ومستودع أفكارها ومرتكز شعارها لما يختزنه بين دفتيه من مقاربات متنوعة ورؤى ثرية جسدت في مجملها عنصري التراث والمستقبل، وناقشت هذا الموضوع من جوانب مختلفة، بالإضافة إلى الكتب الأخرى التي حاولنا أن تكون حاضرة بشكل كبير في هذه المساحة المخصصة لإطلاقات الكتب.

ولفت إلى أن القائمين على جلسات المقهى الثقافي والمتحدثين فيها نجحوا في الخروج بخلاصات وافرة وتوصيات مهمة يمكن أن تفعل إلى رؤى واستراتيجيات تتواءم مع الشعار الرئيس لمعهد الشارقة للتراث في صون التراث وحفظ الهوية، وتترجم أهداف السياسة الثقافية والتراثية للمعهد، من خلال ربط هذه الهوية بما تحمله من تراث وموروث بتحديات الحاضر وتنبؤات المستقبل.

وأشار إلى أن الشعوب الإنسانية التي عرفت ريح التطور ومستويات عالية من التقدم التكنولوجي ما زالت محافظة بقوة على جذورها التاريخية والثقافية القديمة وتقاليدها الموروثة كاليابان والصين على سبيل المثال، وهذه القاعدة الخاصة بتطور الأمم وتقدمها تتغير بحسب الزمان والمكان، بينما المجتمعات التي عصف بها اختلاط الهويات والثقافات ونخرت كيانها ما تزال عاجزة عن تلمس هويتها والمواءمة ما بين الماضي والحاضر ما جعلها مجتمعات غير محصنة ولا تحمل هويات ممتدة، في ظل غزو جنسيات وليدة وهويات نازحة ومهاجرة إليها يمكن أن تشكل هوية معاصرة ولكنها تفتقر للعمق التاريخي والجذور الراسخة كما هو الحال مثل بعض الدول الغربية.

مركز التراث العربي احتفاء خاص بالعنصر الثقافي العربي

جناح مركز التراث العربي زخر بمجموعة متنوعة من الجلسات والمحاضرات المرتبطة بالتراث الثقافي والموروث العربي وسلسلة من الورش التدريبية في مجالات الخط العربي والفسيفساء، وفي هذا الجانب قالت مدير المركز الأستاذة عائشة الحصان الشامسي: لقد ركزنا في أيام الشارقة التراثية على تسليط الضوء على الملفات التي تم إدراجها وتسجيلها ضمن قوائم اليونسكو، انطلاقاً من كون مركز التراث العربي معنيًا بكل ما يتعلق

بالتراث الثقافي وعناصره في الدول العربية ولا سيما المسجلة منها، بهدف تعريف جمهور الأيام على هذه العناصر العربية غير الإماراتية، في ظل وجود أكثر 200 جنسية مختلفة تتعايش في الدولة، وتقديراً لما يزخر به الوطن العربي من موروث ثقافي ثري وكنوز ثقافية.

وأضافت إن هذه الرسالة والغاية التي من أجلها أنشئ مركز التراث العربي تتناغم مع المشروع الثقافي للشارقة ورؤية حاكمها صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حفظه الله، والذي يوجهنا دائماً بأن يتم تسليط الضوء على عناصر ومكونات التراث الثقافي في الدول العربية وأن نشارك ونساهم في الوقت نفسه في عملية صون وحماية ونشر وتعريف هذه العناصر. وهو ما يشكل بالمقابل قدراً كبيراً من التحفيز لألدول العربية نحو تسجيل وإدراج المزيد من العناصر في القائمة التمثيلية لليونسكو، ولقد بدأنا خطوتنا الأولى في الملفات المشتركة منذ 4 أعوام انطلاقاً من ملف النخلة وانتهاء بفنون الخط العربي، وهناك ملفات أخرى معروضة على الطاولة سترى النور قريباً.

ولفتت إلى أن الجلسات والورش ركزت على عناصر مهمة جدًا خصوصًا الملفات العربية المشتركة، مثل ملف النخلة بقيادة دولة الإمارات، وملف فنون الخط العربي بقيادة السعودية، عدا الملفات الفردية لكل دولة عربية، وهو ما يعرفنا على هذه المكونات الرائعة وأيضا على الباحثين العاملين فيما يخص جرد عناصر التراث، وكيفية عملية جرد هذه العناصر وملء الاستمارات المطلوبة في تقديم هذه الملفات.

وتابعت: يسعى المعهد لتعزيز دوره في بناء القدرات بعدما تم الحصول على الإطار الرسمي في هذا الجانب من منظمة اليونسكو، منوهة بأن خطة المعهد تستهدف تلبية احتياجات وطلبات بعض الدول العربية لبناء

كوادرها ويتم التقديم إما عن طريق مراسلة المعهد لتدريب الكوادر وبناء القدرات، وقد استقبلنا الكثير من الطلبات في الدول العربية.

وكشفت أنه فيما يخص بناء قدرات نقاط الاتصال المرتبطة بالتقرير الدوري الذي سيقدم لمنظمة اليونسكو خصوصًا للمجموعة العربية، فقد تقدمت اليونسكو بطلب أن يكون المعهد راعيًا لهذه الورش، وعليه بدأ العمل مباشرة بعد توقيع الاتفاقية ب3 أسابيع فقط.

وأوضحت أن المركز يملك خطة للمطبوعات إلى جانب المحاضرات والندوات، وهناك مسودة تحت الإصدار من قبل المعهد يجمع جميع تفاصيل ووثائق وصور وأفلام الملفات العربية المدرجة في اليونسكو.

البرنامج الأكاديمي.. تمكين المهارات وتأصيل التراث

من ناحية أخرى، شهد البيت الغربي عقد مجموعة متنوعة من الندوات والمحاضرات ضمن سلسلة البرامج الأكاديمية التعليمية المرتبطة بالتراث الثقافي المادي وغير المادي وموضوعات تخص استدامة المباني والمناطق التراثية والعمارة وفنونها، فضلاً عن ورش عمل فنية مختلفة.

وفي هذا السياق، قالت بدرية الحوسني مديرة الإدارة الأكاديمية بالإنابة: إن مشاركة الإدارة في الأيام بالعديد من الأنشطة كورش العمل والفعاليات والمحاضرات والتي قدمها نخبة من الأساتذة والباحثين الأكاديميين من مؤسسات التعليم العالي مثل جامعة الشارقة والجامعة الأمريكية وجامعة عجمان والعديد من المراكز والجامعات العربية والإقليمية، كما قام ممثلو الإدارة الأكاديمية في كل من فرع الذيد ودبا الحصن وخورفكان وكلباء، كما تم تقديم ورش فنية في مجال الرسم بقلم الرصاص أو الفحم والرسم على الماء وكذلك ترميم

ومعالجة وحفظ المخطوطات الإسلامية وتصنيع الورق الخاص بالمخطوطات والحفر والتذهيب على الأغلفة الجلدية على المخطوطات، والترويج للبرامج الاكاديمية المعتمدة التي أطلقها المعهد في الجانب الأكاديمي، مشيرة إلى أن خطة الإدارة تتضمن مستقبلاً العديد من البرامج الثقافية والورش المختلفة.

فعاليات متنوعة وجاذبة للجمهور في "الأيام"

لا تخلو دورة من دورات أيام الشارقة التراثية من إضافات مميزة، ما يدل على مدى السعي الحثيث من قبل المنظمين للاستفادة من ثقافات مختلفة ونقلها إلى ساحات التراث ليتعرف إليها جمهور الأيام، الذي اعتاد على الحضور بشكل مكثف طوال فعاليات وأنشطة الأيام، فلا يخلو ركن أو جناح مشارك من حزمة كبيرة من الأنشطة والفعاليات التي تنال استحسان الجميع.

استقطبت المدرسة الدولية للحكاية، في قرية الطفل

بأيام الشارقة التراثية، فئة أعمار الزهور من الجنسين، تجسيداً لشعار الدورة الحالية (التراث والمستقبل).

شهد ركن المدرسة عدة أنشطة وورش يومية، لربط الأطفال بتراثهم، وإعدادهم للمستقبل، وقد أقام الحكاواتي أحمد الراشدي من سلطنة عُمان ورشة بعنوان (احكي لي خروفة، وتعني القصص والحكايات التراثية الخيالية) من أجل تدريب الأطفال على فن الحكي وإعادة سرد الحكاية، بطرق مختلفة، من خلال الكتابة أو الرسم، لكل مشاهد الحكاية، كما حرص الراشدي خلال الورشة على منح الأطفال المشاركين في الورشة فرصة للتحدث والتعبير عن ذواتهم، ومدى استيعابهم للحكاية، من أجل كسر حاجز الخوف لديهم.

كان جمهور أيام الشارقة التراثية على موعد مساء كل يوم مع (تحدي التبراة) وهي مسابقة ابتكارية جديدة تطرح لأول مرة تربط المشاركين بالألعاب الشعبية القديمة في الإمارة، وتقع أحداثها الشيقة بجانب البيت الغربي، مستقطبة عشرات المشاركين ومئات المتفرجين في جو مليء بالحماس والإثارة والتنافس والجوائز اليومية القيمة للفائزين.

ضمن فقرات مسرح الأيام، جرت العروض الفنية للفقرة الاستعراضية الغنائية للأطفال "الغولة" والتي قدمها فريق كورال قيثارة طيبة من جمهورية مصر العربية، والتابعة لجمعية الصعيد للتربية والتنمية بالقاهرة.

كما شاركت الفرق الشعبية المحلية والخليجية والعالمية في ساحة التراث التقليدية برقصات وفقرات مختلفة منها فرق الرزيف والحربية والهبان والليوا والعيالة

الإمارات، فهي دلالة على الخير والمطر، وتجدد الحياة.

وتتعدد الأنشطة والفعاليات في قرية الطفل، فقد كان هناك ما يقارب من 12 ورشة تقدم يومياً على مدار أيام الشارقة التراثية، إلى جانب مشاركة عدة دول منها: اليابان وأندونيسيا وعمان والسعودية، بعدة أنشطة وفعاليات متنوعة، عن الأعمال اليدوية التراثية

وفرقة الشحوح، وفرقة شعبية من سلطنة عمان، ورقصات لبنانية وروسية.

كما احتضنت قرية الحرف التراثية ورشة "غرس" التدريبية التي تناولت حرفة التلي من جمهورية مصر العربية الشقيقة واستمرت يومين.

وحظي الأطفال واليافعين بعناية خاصة من قبل المنظمين للأيام، فكانت قرية الطفل بمثابة النافذة التي يطل من خلالها الأطفال على المستقبل، ويتلمسون خطاهم على درب الحياة، حيث قدمت برامج وورش ومسابقات تراثية وتوعوية للصغار ويستفيد منها الجميع، وقد تم تسمية ركن قرية الطفل هذا العام "بنت المطر للأطفال واليافعين"، وهي حشرة ارتبط ظهورها بموسم هطول المطر، ويستبشر بها أهل

الوَتريّاتُ العربية

في علم الآثار الموسيقيّ

ارتفع شأنُ الغناء والموسيقا شيئاً فشيئاً في العصريْن الإسلاميين الأموي والعباسي، وذلك لاهتمام عليّة القوم والمجتمعات الراقية به، خاصة في بغداد أيام هارون الرشيد الذي أمر بجمع واختيار أفضل مائة أغنية عربيةٍ من القديم إلى عصره، كما انتقلت تقاليد الغناء والموسيقا العربية إلى الأندلس بهجرة المغنّي الشهير زرياب إليها.

علي العَبْدان
مدير إدارة التراث الفني
معهد الشارقة للتراث

وخرجت المؤلفات النظرية في الموسيقا باعتبارها عِلماً من العلوم الأربعة التي ينبغي طلبها بالنسبة للحكيم أو الفيلسوف، وهي: الطب، الفلك، الرياضيات، والموسيقا، فكتب في الموسيقا كلٌ من الفلاسفة: الكندي، الفارابي، ابن سينا، وغيرهم، وقام الأصفهاني بتأليف كتاب (الأغاني) الذي قصدَ بتأليفِهِ إلى جمع المائةِ أغنيةٍ المُختارة لهارون الرشيد، كما ذكرَ فيه أغانيَ أخرى، فأثبتَ قصائدَها، والأجناسَ الموسيقية التي لُحّنت بها تلك القصائد، كما سرَدَ تراجمَ الشعراء والموسيقيين.

إن كل هذه الجهود الظاهرة إنما جاءت لأن الغناء والموسيقا أصبحا أمراً اجتماعياً مشهوداً في طبقاتٍ مختلفةٍ من المجتمع العربي المسلم، ولذا سجّلهُ مُصوِّرو المُنمنمات، ونسّاجو الأقمشة، وحفّارو الخشب، وصانعو النحت البارز في أعمالهم الفنية، وهذه الأعمال الفنية – أو ما تبقى منها – هي جزءٌ مهمٌ من مادةِ علم الآثار الموسيقيّ، فضلاً عن الآثار الموسيقية نفسِها، أي الآلات الموسيقية القديمة جداً، وهي في مجموعها تُمثلُ شواهدَ مهمةً جداً على أشكال الوَتريّاتِ العربية، كالأعوادِ والرِّبابِ ونحوها، وطبيعةِ أجزائها، وعددِ أوتارها، وطرائقِ العزفِ عليها، إلى ما هنالك من تفاصيلَ مهمةٍ

في السياق المعرفيّ الإثنوموسيقيّ، فعلى سبيل المثال يدلُّ نحتٌ بارزٌ (Relief) في مسلّتيْن من مسلّات القبور السبَئيّة في اليمن على وجود آلةٍ تُشبهُ آلةَ العود في جنوب الجزيرة العربية منذ القرن الثالث الميلاديّ على أقل تقدير، ففي إحداهما تجلسُ امرأةٌ وهي تحتضنُ تلك الآلة بيديْها، بينما تقفُ على جانبيْها فتاتان تحملان آلتَيْ إيقاع حسبَما يظهر، وفي الأخرى تظهرُ امرأةٌ واقفةٌ وهي تحملُ ذلك العود بيدِها، وليست في وضع العزف، ويصفُ هذا العود الأستاذ الدكتور محمود قطّاط فيقول:

"الصندوق الصوتيّ متوسط الحجم، وبشكل الكمثرى، الوجه يحتوي على ثقبيْن مُدوَّريْن لتقوية الصوت، والرقبة قصيرة، وهو بالتالي لا يختلف في جوهره [عن] العود المتداوَل في العصر الأمويّ. هذه الوثيقة التي تعود إلى القرن الثالث الميلاديّ تؤكد أن شبه الجزيرة العربية عرفت هذه الآلة منذ القديم، وهو ما يُفنّد المزاعم القائلة بأن النضرَ بنَ الحارث (القرن السادس الميلادي) هو الذي جاء بالعود من الحِيرة، أو أن سلمان الفارسيّ هو الذي أدخله إلى الحجاز، قبل أن يُشاع صِيتهُ ويستعمله موسيقيو صدر الإسلام، مثل معبد وابن سريج وابن مسجح" .

وَتريّات في المُنمنمات

إن أول كتابٍ عربي ظهرت فيه المنمنمات بحسب بعض الأبحاث هو كتاب (كليلة ودِمنه)، وهو كتابُ قصص هندي، ترجمهُ ابنُ المُقفَّع إلى العربية، ثم انتشرت رسومُ المنمنمات في بعض أشهر كتب الأدب العربي، مثل (المقامات) للحريري، وهو كتابٌ في السرد الأدبي المزخرف بالسجع والجناس والكلمات ذات الجرس الموسيقي ، ومثل كتاب (الأغاني) للأصفهاني الذي سبق ذكرُه، وكان رسّامو المنمنمات في القديم من الفرس غالباً، ثم برَعَ بعضُ العرب في تصوير المنمنمات مثل محمود الواسطي الذي يُلقبُ بشيخ المُصَوِّرين العرب، وبلا شك حفظت لنا هذه المنمنمات والتصاوير الكثير من تفاصيل الحياة القديمة، كالملابس، والعمائِر، وأنواع السجاد والأثاث والأواني، ونظام الجلوس في المجالس، وأيضاً الكثير من الآلات التي كانت تُستعمل في تلك العصور، ومنها الآلات الموسيقية.

وقد دلّتنا تلك المنمنمات على استمرار استعمال الطنابير الفارسية إلى جانب الأعواد العربية في كثير من أرجاء العالم الإسلامي في بعض العصور، وكذلك آلات وترية أخرى، وإن كان العودُ العربيّ هو الغالب في المنمنمات التي تسجلُ الحياة العربية. كما أن الآثار الأندلسية تُظهرُ الأعوادَ وفي أكثرها ما يُسمّى بـ "الشمسيّة"، وهي فتحة دائرية على سطح العود تُعينُ على إخراج صوتٍ أفضل ، في حين لا تحوي الآثارُ الشرقية هذه الشمسية في غالبِ الأعواد. كما نلحظُ كثرة الأوتار على الأعواد في الآثار الأندلسية، وليس هذا بمُستغرَب إذا تذكَّرنا أن الموسيقار الشهير زرياب قد زادَ وَتراً خامساً في العُود العربي بعد أن هاجر إلى الأندلس وأقامَ فيها، وهي زيادةٌ ليست في الأعلى أو الأسفل من مستوى الأوتار، وإنما زيادةٌ بينيّة كما فهمتُ من بعض المصادر، وهذا ما اقتضى من زرياب تغييرَ تسوية بقية الأوتار الأربعة الأصلية بعد زيادتهِ الخامس، وعلى أية حال نرى كثرةَ الأوتار جليّةً في رسمةٍ أندلسيةٍ صُوّرت فيها امرأتان عربيّتان تلعبان الشطرنج، وامرأة ثالثة – لعلها أوروبية – على يسار الصورة تعزف على عود، وهو كالعُود العربيّ الذي نعرفه اليوم من حيث طول الرقبة وهيئة القالب، كما أننا نرى بصورةٍ واضحة شمسيةً على سطح العود، وبعض الزخارف أيضاً، وخشبة مُزيّنة تشد عليها الأوتار، تقع بين الشمسية ونهاية قالب العود، أما الأوتار فهي ستة، بل نجدهُا في بعض الآثار الأخرى سبعة أوتار.

وبالإضافة إلى هذا العُود ذي الشكل الكمثريّ نجد أشكالاً أُخرى من الأعواد يكون القالبُ فيها أصغرَ حجماً، وتبدو الرقبة – بناءً على ذلك – أطولَ قليلاً، وهذا الشكل يُشبهُ اليومَ العُود المستعمَل قديماً في اليمن، والمُسمّى (قنبوس) أو (طرَب)، ويُوجد هذا في أحد الصور الأندلسية حيث نرى فيها عازفيْن واقفيْن، أحدهما أوروبي مسيحي، وهو الذي يقف على اليمين مع عُود بالصفة السابقة، وفيه شمسيّة، والعازف الآخر عربيٌّ مسلمٌ يُصاحبُ عزفَ الأوروبي على عُودٍ شبيهٍ بعُودِه، وتوجد ملحوظاتٌ على هذهِ المنمنمة، ذكرَها جوليان ريبيرا في كتابه (تاريخ الموسيقا في الجزيرةِ العربيةِ والأندلس)، وسأوردُ هنا موجَزاً منها لأهميتها، قال ريبيرا:

"صورة موسيقار مغربيّ يعزفُ على آلةٍ وَتريّة، وبالقرب منه مسيحيّ، ينظرُ فاغراً فاهُ كأنما كان يُغنّي، والآخرُ (المغربي) كان مُصاحِباً له... إن المسيحي الذي يُغنّي أمامَ المسلم هو على اليد اليُمنى للقارئ، والمسلم على يُسراه، ولذلك فإنه، أي المسلم،يكونُ بالضبط على يمين المسيحيّ في الصورة، وفي كل الصور المُصَغّرة (المنمنمات) نجد أن الموسيقيَّ الرئيسيَّ بهذا الوضع... إنه يعزفُ على آلةٍ موسيقيةٍ وَتريّةٍ راقية" .

فن «من حق الليلة»

عزيزي القارئ: سوف نتكلم في هذا العدد عن حدثين جميلين يمران علينا في كل سنة، أحدهما للصغار، وهو في شهر شعبان، والثاني للجميع، من الصغير إلى الكبير، ويأتي في شهر رمضان.

علي العشر
خبير تراث فني
معهد الشارقة للتراث

منذ طفولتنا ونحن نرى ونلتمس هذين الحدثين حتى كبرنا، ويراها أيضاً أطفالنا حتى يكبروا، وعليه فإنني أرى أن هذين الحدثين يعبران عن التراث، وذلك لوجود أهازيج تقال فيهما، فإنني اعتبرهما أيضاً من الفنون التراثية.

من حق الليلة من الفنون التي يقوم بها الأطفال في ليلة النصف من شعبان، حيث يقومون بالتجوال والمرور على المنازل في الحي الذي يسكنونه، من منزل إلى منزل، حيث يقوم أهالي المنزل بتوزيع حق الليلة على الأطفال، وهو عبارة عن بعض الحلويات والنخي والمكسرات

مثل الفستق والجوز والبيذام والميز، وبعض القطع من الحلويات الملبسة، وأحياناً يتم خلط هذه الأشياء ببعض الدراهم، ومن الأهازيج التي تقال في هذا الحدث ما يلي:

يا زين النصف من شعبان
الكل سعيد وفرحان
عطونا الله يعطيكم
بيت مكة يوديكم
عطونا من حق الله
يخلي لكم عبدالله
أنا اسمي أمونة
أنا حلوة ومزيونة
عطوني حق الليلة
وعشاني كبروا الجيلة
أنا اسمي عبادي
كل شي فيني مب عادي
عطوني حق الليلة
وعشاني كبروا الجيلة

1. فن المسحراتي:

المسحراتي هو عمل يقوم به أحد الأشخاص في الحي في ليالي شهر رمضان، حيث إنه يجوب الحي، ويكون حاملاً معه طبلة، وذلك لإيقاظ الناس في وقت السحور للتحضير، والاستعداد لتجهيز وجبة السحور، وذلك لكي يتسحروا قبل أذان الفجر، استعداداً للصيام، وعليه فإنه يجوب عليهم، ويوقظهم بصوت الأهازيج التي يغني بها مع ضربه على الطبل الذي بيده، ومن الأهازيج التي يغنيها المسحر ما يلي:

يا نايم الليل قوم تسحر
قوم يا نايم قوم
قومق احسن من نومك
اقعد اقعد يا نايم
اقعد اقعد يا نايم
واذكر ربك الدايم
اصحَ يا نايم وحّد الدايم
يا نايم قوم وحّد الدايم
سحور سحور يا عباد الله

هذه الصفحة تتناول حضور الحيوان في التراث الثقافي الإنساني الحضاري والديني واللغوي والأدبي، وارتباطه بحياة الإنسان ومعتقداته وتصوراته وأساليب حياته.

الإبل في الشعر الشعبي (2)

علي أحمد المغني
باحث في التراث الثقافي – الإمارات

في أنواع الإبل وسلالاتها «العرابي»، وهي من أفضل أنواع الإبل، تمتاز بصغر الخف، ونحافة الجسم، والأذرع المشوقة، وتمتاز أيضاً بالسرعة وبالتحمل وبالصبر في المسافات البعيدة، ويطلق عليها البعض: العمانية، وورد ذكرها في أكثر من قصيدة، منها قصيدة للشاعر ناصر بن سالم العويس الشامسي:

قم يا نديبي فوق هنتين حول من العربات وسمان
واكرب عليهن م الدشن زين لي ترقبه خطف ولا بان
باتن سواري كالقطاتين يتساكرن والدرب صمّان

«البكرة» تطلق على الأنثى عندما تتجاوز السنة الثانية، حتى الخمس سنوات، والجمع بكرات. تقول الشيخة

لطيفة بنت سلطان بن سعيد الغفيلي، ابنة شيخ قبيلة الوهيبة:

شاموا حمد واخوانه على بُكرات لقاح
شاموا وأنا خلّوني طيرٍ كسير يناح

و«الفاطر» هي الإبل التي لم تعد صالحة لمهام العمل والإنجاب، يقول أحد الشعراء في ناقته عندما أصبحت مسنّة:

لي فاطر ليت الصبا يشري لها تصبح رباعيّة وكاسب حالها

ويقول آخر:

يا فاطري قطعي السباخ وجدّي
لن هدهد المرعد على المتردي

ومن السلالات المشهورة عند العرب «ظبيان»، وهي تعتبر من أفخر السلالات عند البدو وملاك الإبل، وتتميز سلالة ظبيان بوجود دايات سود على الكتف، والداية هي عبارة عن الشعر الأسود، ويتميز ظبيان باللون الأصفر الفاتح المائل إلى البياض، وبوبره الأشقر الغزير، أما من حيث قدرته أثناء السباق، فهو يتمتع بنفس طويل نسبياً، ويتفرد عن سواه أنه كلما تقدم عمره ازدادت قدرته على الركض مهما طالت مسافة السباق؛ لذلك تعتبر هذه السلالة من أهم السلالات التي تستخدم في السباق. وقد وصفه الشاعر سعيد بن عبدالله المحيان الكتبي في إحدى قصائده بقوله:

يا نديبي فوق ظبياني نابي وشعوره مُثلّه
بندبك واحتثّ يا عاني حطّ لك لفراش في حلّه

و«الأصيفر» من سلالات الإبل القديمة، وهو معروف أنه من سلالة إبل قبيلة الدروع؛ أي من السلالات العمانية الأصيلة، ويقول أحد الشعراء:

ظبيان سبق وخبروا بن ساري ياه الأصيفر مثل دفق الياري

وبن ساري اسم شخص، وكان يوجد لديه بعير ظبيان دائماً يسبق، حتى جاء الأصيفر وسبقه.

و«صوغان» من السلالات المشهورة، ويتميز بوجود وبر قصير وناعم، كما يمتاز بطول قامته وسرعته على الركض، وقد وصفه الشاعر علي بن خليفة المحرمي الكتبي بقوله:

قم يا نديبي فوق صوغان فوق أشقرٍ ما ملّ راعيه

يمطي اليديل إن دجران ولا ظلال العود بييه

كذلك ذكره الشاعر حميد بن سعيد الهلي بقوله:

صوغان شلّ زهابنا والنوبي

أسميه لي ما عرّضه مدحوبي

«الخواوير» أو الخور، ومفردها خوّارة، وتجمع على خواوير، وهي من السلالات المعروفة في دولة الإمارات، وقد ذكرها الشعراء في قصائدهم، ومنهم الشاعر سعيد بن عبدالله المحيان الكتبي بقوله:

قم يا نديبي فوق خوّار حيدٍ صغير وسلكه ايديه

جدوى علي بردود الأخبار اتبلّغه وتيبب صافي

وفي أصوات الإبل، أورد الشعراء في قصائدهم «الضبح» وهو الصوت الخفيف، تخرجه المطية من جوفها أثناء

المسير، يقول الشاعر علي بن السامان المسعودي الكتبي:

يا راكب مني على ضبّاحه فراشها ياعد وخري وساحة

صوب الرفاقه با نرد نصاحه ديّانهم واقف يدور نياجه

ما يستوي عيب ورقاد وراحه

ومن تسميات تجمعات الإبل، عند الشعراء «العير»، وهو لفظ يطلق على مجموعة الإبل التي تحمل الميرة. وفي لسان العرب: العير: القافلة، ويقال كذلك العيرات، كما جاء في قصيدة الشاعر المايدي بن ظاهر:

كما رافع من لا يعادل رفاعه على ظهور عيرات البكار

الذلايل

وفي الأدوات الخاصة بالإبل، أورد الشعراء بعضها في العديد من قصائدهم، ومن تلك القصائد قصيدة الشاعر سالم بن ثعيلب بن سالم العامري، في إحدى قصائده، حيث يقول في وصف مستلزمات الإبل:

خُطامها صوفٍ ومشموط بشعر

وإلا السلاسل م الحديد الصافيات

كسى مُحويها يوخ مكساي يديد

مبروم من لب القطون الناصحات

بُطانها وزوارها حلو السدى

وجايملّه بالغزول الناصحات

والمحقبه اللّي طوارفها يديل

مُبرسمه ضرب اللباري باهيات

الياعد المربوع لي صوفه ذراع

الخري لي مرقوم وافي بالثبات

عليها الهبّان والسعن اليديد

والملبّه والسَوَحْ لي ضافيات

ومن الأدوات «الحكمة»، وتسمى كذلك القذال: هي سلسلة أو حبل تكون حول فكي البعير، موصولة بطرف الخطام، ويمسك بها من طرفيها حبل يسمى (العذار)، يلتف من خلف العلباء.

ويقول الشيخ سلطان بن زايد بن خليفة آل نهيان، مشيراً إلى القذال في تغرودة له:

يا راكب صفرا يزيغ جفالها ما يقدر الراكب يتوح

قذالها

و«المحوي» الذي يجلس عليه الراكب، ويكون محشواً بليف النخل، ويوضع على فقرة الناقة خلف السنام، ويشد من فوقه بالحقب (المحقبة)، ويمسك طرفيه خيطان يوثقان بالشداد. يقول الشاعر جويهر الصايغ عنه:

ما ركبوهن سهاوي إلا عرب وذفين

على فُقرهن محاوي جوخ ضربه قطين

«الشداد» من أدوات الإبل، يستخدم لجلوس الراكب على ظهر المطية، سواء كان للرجال أو للنساء، ويتكوّن من أربعة «أظلاف» تثبت كل ظلفتين بوساطة «قمة» ويتصل الأربع بوساطة «مصلابين» يثبتان على الأظلاف بوساطة «الوسر»، وتوضع وسادتان تحت الشداد محشوتان بالليف لخفة وزنه، ويثبت الشداد أمام السنام، حيث يتصل به «المحوى» الذي يثبت خلف السنام، وتوضع نهايته بين ظلفتي الشداد لتثبيته؛ كي يجلس عليه الراكب، ويطلق البعض على الشداد اسم كور، ويقول في ذلك أحمد بن فاضل المزروعي:

حط الدواشق واكظم الكور ومن فوقهن بوسنٍ صغير

ان روحن والهجن قنطور يا زينهن بن الدعاثير

كما وصفه الشاعر ناصر خميس الغيلاني:

زهى شدادها من فوقها كنّه التيجان

وكن الوبر به لمعة الدر منضودة

ومن الألفاظ المستخدمة للإبل عند البدو «الجمالية» التي تشبه الجمل في الضخامة، وورد لفظ الجمالية في أكثر من قصيدة، منها على سبيل المثال ما جاء في قصيدة للشاعر يعقوب بن يوسف الحاتمي، من أهالي إمارة أم القيوين، حيث يقول:

قم يا مشامر على شد ضامر تحب المسامر عفيّ السنام

إسدية الباس من أصل وساس جمالية الراس ولها خزام

ويقول آخر في تغرودة:

ما ياوزن في ديرة الحرسوسي غير الجماليات كبس الروسي

ويقول أحد شعراء بني قتب:

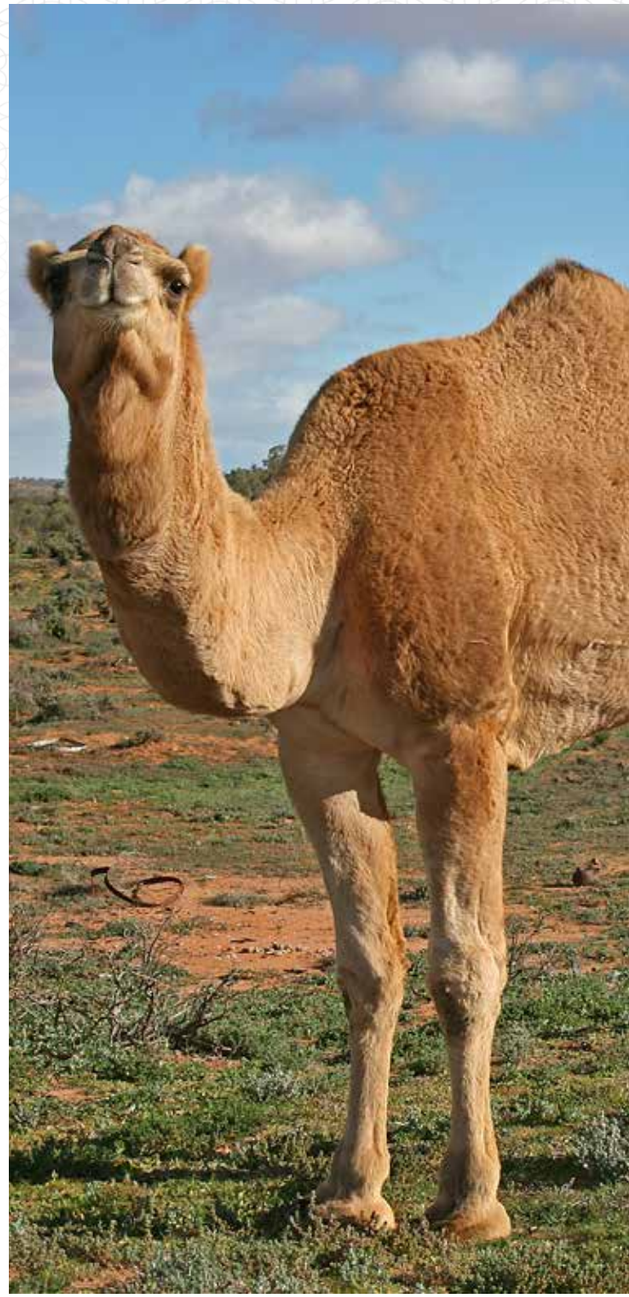

يا راكب حمرا وسيعة بالي تهادي الراكب سديدة حالى

والراس من قدم الذنين يمالي

و«الحاشي» تطلق على الذكر والأنثى، والجمع: حشوان وحشاوين، كما جاء في قصيدة للشاعرة عوشة بنت خليفة السويدي، حيث تقول:

لحى الله الغنى كيف استبد وخرّش بالحشاوين الرواغي

و«الخنافة» هي الناقة التي تخنف بخفها أثناء المسير، يقول الشاعر جابر بن عيسى بن قطامي المطيوعي المنصوري:

تهشل هشيل الذيبي ولها خنفا الأثر

و«الصلفة» هي الناقة التي يكون ركوبها متعباً، ويقال فيها: ناقة صلفة، وفيها صلافة. يقول أحد الشعراء:

صلفة وسيري صلف يا اللسيبه

سهران ومبيت السبط مالي به

«العشار» مجموعة النوق التي ولد بعضها وبعضها الآخر مازالت حوامل، والمفرد عشرا؛ وهي. الناقة الحامل. يقول الشاعر الشيخ بطي بن سهيل آل مكتوم:

يا بن قنش وش ياك عفت ديارنا

وش لي خلف سيرتك عن مسيارنا

حيدك بنعمة يوم تصفر يارنا

من فضل خاطرنا ودر عشارنا

وفي لسان العرب: «العشار من الإبل: التي قد أتى عليها عشرة شهور. وقيل: العشار يقع على النوق حتى ينتج بعضها، وبعضها ينتظر نتاجها. وعشرت الناقة تعشيرة وأعشرت: صارت عشراء، وأعشرت أيضاً: أتى عليها عشرة شهور من نتاجها. وناقة معشار: يغزر لبنها ليالي تنتج».

و«المدوبة» هي الناقة المؤدبة والمذللة للركوب؛ كما جاء في قول الشاعر القائل:

يا نديبي ترحل فوق مدوبه طايعه للعصا في شف راعيها

ويقال أيضاً للبعير مدوب؛ كما جاء في قول الشاعر حمد بن راشد الكنيبي المزروعي:

قم هات لي ضبياني لي من الهجن مدوب

مشلوح البيطاني وله غارب مسلوب

ما سيق في سفهاني يا غير في المايوب

ومن الألفاظ «حيمها»؛ أي حجمها ومنعها عن الشرب من حوض الماء حتى يمتلئ. جاء هذا المعنى في تغرودة للشاعر سعيد بن علي بن حلوة الكتبي، منها:

ولا هي عزوف ولا خلاف أسلابي

ولا قد حيمها في الخلا لمصابي

وتقول الشاعرة عوشة بنت خليفة السويدي:

وأنا ونتي ونّات ركب حيام بات

على مورد قد خيم الجيم من دونه

و«رفّعها»؛ أي يحمل عليها الرفاع، والرفاع: الحمل، كما جاء في قول ابن ظاهر المايدي:

كما رافع من لا يعادل رفاعه إن زل عدال الرفاع ومال

و«مازت» وهو إذا قامت بمص الماء في أثناء الشرب، ويقال: تموز الماء، والجمع : يموزن. جاء في قول الشاعر سعيد بن سيف بن زعل الفلاحي:

راعيهن نهار ما يوردن فرحان

يلي غدن فوق الحنايا لهن حنّه

يجذب عليهن بارد الما من الجيلان

وهن خلاف الغب قامن يموزنها

وفي سمات الجمال في الإبل «انتصاب الأذنين»، يقول الشيخ خليفة بن شخبوط آل نهيان:

يا طارشي يا عاني على حلوة قسيس

مُشذّرة الأذاني ولها الغارب نفيس

و«الخفاقة» هي الناقة السريعة. يقول الشاعر:

بآدن له خفّاقه تدلّه وتنصاه وين يحل

على البعد لحّاقه منسلّه ما نيخت للحمل

معها الوعر دقداقه وتزلّه زاروقٍ في شمل

و«العويا» (العوجاء) الناقة ذات الرقبة العوجاء. ورد هذا اللفظ في قصيدة للشاعر سالم الجمري، حيث يقول:

ومن بعد مني فوق عوجا جليلة

دسما الينوب ولي عدت كنها عقابي

أو كالقطا لي داريات هوارب

وإلا كما السرحان غادي بمسحابي

تجرّب مسافاة الفيافي إذا عدت

تعديك كم حزم دنى غدف مسحابي

لي سمعت التغرود هامت ودرهمت

غدا راسها يومي من الكيف وتشابي

وليمن تحدوها هل الهجن واضمرن

غدت بينهن مثل الوضيحي في الهضابي

انتهى

1- حماد الخاطري النعيمي، الإبل في التراث الإماراتي، (هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية)، أبوظبي، 2015؛ فاطمة مسعود نايع المنصوري، الإبل في الإمارات، ط2، (نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث)، أبوظبي، 1439-2018.

الشعر والمشاعر في آفاق المدرسة الرومانسية

كثيراً ما عبّر إنسان هذه الأرض عن فكره ومشاعره عبر النصوص الأدبية، ولعلّ الشعر من أقدم أنواع هذه النصوص، إذ كان له وقع السحر في الآذان، والراحة في النفوس، والإبهار في المخيّلة.

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد - الإمارات

كان التعبير في البدء مباشراً وبسيطاً، وفي الوقت نفسه يراعي آداب المجتمع المحافظ، فالشعراء مهما كانت تجيش أحاسيسهم، لم يكونوا ليتركوا عنان التعبير لكلماتهم، وإنما كانوا يقفون بمرصد لمقالهم، لينتقوا مفرداتهم، أو ليعالجوا صياغة عباراتهم؛ كي تأتي مناسبة لمقام المتلقي، وأي مقام أو سلطة أرفع من مقام المتلقي في المجتمع المحافظ، إذ إن حرية التعبير الفردية كانت دائماً تحت سيطرة حرية أوسع وأشمل هي حرية

الجمع.

فقد كان الشاعر صوت القبيلة في شبه الجزيرة العربية، وله مكانة خاصة عند كبار القوم، وتقدير مميز عند عامة الناس؛ لذا تراه في صدر المجلس إلى جانب أهم الشخصيات، يؤخذ برأيه، ويسمع ويستمع إليه، لما في قوله من الحكمة والمنطق، ولكن هذا التقدير الكبير وضع على الشعراء التزامات كثيرة؛ لذا لا نجد في شعرنا القديم كشعر الماجدي بن ظاهر أو بن محين ويعقوب الحاتمي حميمية التواصل مع المحبوب في القصيدة. وهذا الوضع لم يصبح مريحاً للشعراء؛ لأن الشعر يتوق لحرية التعبير في الأصل، فكيف مع حرية التعبير عن المشاعر والقصيدة هي المتنفس الوحيد للشاعر؟!

وعلى الرغم أن سلطة المجتمع المحافظ استطاعت أن تفرض القيود على حرية التعبير عن المشاعر إلا أن الشعراء كانوا يلتفون على ذلك بطرق أغراض الحكمة والنصيحة والمدح، ويدرجون محاور تعبر عن مشاعرهم تجاه المحبوب ضمن هذه القصائد، وكان التعبير الرمزي بالكنايات وسيلة مثلى لإيصال مشاعرهم الجياشة، وهمومهم الدفينة.

فالشاعر صوت المجتمع المحافظ، وقناته الإعلامية الرسمية، ويمثل عامة أفراد المجتمع، ولم يكن حساباً خاصاً يخرج من خلاله كما هو الحال مع حسابات التواصل الاجتماعي، التي تمثّل صاحبها نفسه فقط، وكان هذا الوضع قائماً حتى عهد قريب؛ أي مع طلائع ظهور الصحافة المحلية وتخصيص صفحات لنشر الشعر الشعبي. ولعل أهم هذه الصفحات هي صفحة الشعر الشعبي لجريدة البيان، والتي بدأت بإشراف المرحوم حمد خليفة بوشهاب في بداية الثمانينيات، فأصبحت الصفحة متنفساً للشعراء الكبار والشعراء الجدد ينشرون إبداعاتهم أولاً بأول، بدلاً من جمعها لتنشر في ديوان شعر بعد سنوات طويلة، وأصبحت الصفحات جسراً للتواصل بين الشعراء وجمهورهم، وهذا أيضاً ما كانت تقدمه لهم مجالس الشعر التي كانت تسجل تلفزيونياً، وتنقل إلى الجمهور، ولكن الصحافة أصبحت تقدم فرصة جديدة لم تكن تقدمها مجالس الشعراء، ألا وهي فرصة ظهور الشاعرات، فلأول مرة فتح المجال للشاعرات لإظهار موهبتهن الشعرية للجمهور، وإخفاء شخصيتهن الحقيقية خلف اسم مستعار، مراعاة للعادات والتقاليد المجتمعية المتوارثة.

كان الشعراء على موعد جديد للاستفادة من فرصة الظهور باسم مستعار من خلال الصحافة، فظهرت أقلام شعرية تتخذ من الاسم المستعار وسيلة لنشر إبداعاتها الشعرية، وكان من الأسباب لاتخاذ الاسم المستعار هو الفصل بين الشخصية الاجتماعية للشاعر وإبداعه الشعري، فليس بالضرورة أن يتقيد الشاعر بشخصيته الاجتماعية؛ لأن في ذلك نوعاً من التقييد على حرية تعبيره الشعري أولاً، وربط المعنى الشعري بشخصية الشاعر، ما يسبب انزياحاً عن المعاني والدلالات الشعرية التي يريد الشاعر إيصالها إلى الجمهور. وعلى هذا الأساس كتب الشعراء باسم مستعار لفترة، حتى أصبحت أقلامهم معروفة للجمهور، وبعد ذلك استغنى الشعراء عن الاسم المستعار، وظهرت أسماؤهم الحقيقية، وهناك أيضاً من لم يظهر باسمه الحقيقي، وفضّل أن يكون المنتج الأدبي الذي قدمه باقياً بهذا الاسم، ولعل هذه الظاهرة فريدة، وتنم عن عمق إيمان الشاعر بتشابه مشاعر البشر، وببقاء الكلمة

المفعمة بالإحساس، واستقلال النص الشعري المبني على الإحساس، حتى وإن لم يعرف قائله، كما هو الحال مع قصائد الحكمة التي استطاعت أن تتجاوز الزمن، وأن تكون صالحة لكل الأزمان، وأن تفك ارتباطها بشاعرها، لتصبح ملكاً للمجتمع.

ولعل المدرسة الشعورية أو الرومانسية التي نشأت من ذائقة الشعراء وجرأتهم على طرح عواطفهم وأفكارهم في القصائد، بغضّ النظر عن قبول المتلقي أو الناقد بذلك أو رفضه؛ لذا حين نسميها بالمدرسة بالشعورية، فإنه بسبب ظهور عواطف الشاعر في قصائده أكثر من أفكاره، ونستطيع أن نعبر عن المدرسة الشعورية بالمدرسة الأدبية التي يشكّل فيها الشاعر رابطاً قوياً مع نفسه، وروابط أقل قوةٍ مع المتلقين والنقاد والقصيدة.

لم تأت المدرسة الشعورية بالغزل في القصيدة، فهذا الغرض كان مطروقاً في السابق، ولكن جاءت المدرسة الشعورية بالتجديد في الغزل، وإبراز جوانب لم يعهدها المجتمع المحافظ، وكذلك كانت الحال في الأغراض الأخرى، حيث كانت المدرسة الشعورية تكسر حواجز المحظور باستحياء شديد؛ فالقصيدة الشعورية في البدء كانت تشبه القصائد التقليدية، ومع مرور الوقت خلعت المدرسة الشعورية عدداً كثيراً من ثيابها التقليدية لتظهر كمدرسة جديدة في القصائد الشعبية.

أصبحت القصيدة عند الشعراء الشعوريين منفذاً إلى راحتهم النفسية، والتعبير عن الإحساس والمشاعر، ومن الطبيعي أن تجد الشاعر الشعوري أو الرومانسي متحدثاً لبقاً في قصيدته وهو يخاطب محبوبه كما لاحظنا، والحد الفاصل بين المدرستين التقليدية والشعورية؛ هو طريقة تناول الشاعر القصيدة، فالشاعر التقليدي يأخذ دور الراوي في القصيدة، وإن كان يتحدث عن نفسه؛ إلا أنه يُدخل شخوصاً آخرين في القصيدة، ويتحدث مع العالم الخارجي، وأما الشاعر الشعوري فإنه يأخذ دور أحد شخوص القصيدة، كالمحب مثلاً، ويحاور الآخر مباشرة

أو يتحدث عنه، وبدلاً من التحدث مع العالم الخارجي، فإنه يتوجه إلى ذاته، وتفاعله مع العالم الخارجي يكون بإسقاط مشاعره على الطبيعة وعناصرها، وسنأخذ الأمثلة ممّا نشر في الصحافة المحلية في الثمانينيات بدءاً من المثال الآتي:

تطري عليه دوم وانته على البال
والروح تشكي منْك دايم عليله
محال سيدي اهتوي غيرك مْحال
يا من ملكت القلْب بـ الطف وسيله
لا تدّعي مظلوم ونته العيال
واللي يحب فْواد خلّه دليله
لي ييتني برضاك يا طيب الفال
خذْتك على قلبي تبرّد غليله
أرتاح بك يوم المخاليج ذهّال
في ليلةٍ تسوى معي ألف ليلةْ
هي ليلة الجمعة لها طيب الوصال
تبقى لنا ذكرى خليل لْ خليله
أسهر بها وآخذ من البن فنيال
وامزج بها شوق المحبه الجميله

واضح جداً توجه الشاعر إلى باطنه، فتراه يتحدث منذ بداية القصيدة عن البال، ثم الروح، مروراً بالقلب والفؤاد، ويسقط كل هذه المشاعر على «ليلة» فيها الناس ذهّل ونيام، ليرتشف من المحبوب فنجان قهوة ممزوجة بالمحبة، وهو قد لا يكون فنجاناً حقيقياً، وإنما هو فنجان أقرب للصورة الشعرية التي يرسمها لاحقاً أصحاب المدرسة الواقعية المهتمين بالصورة الشعرية في النص الأدبي. ومن ذلك مثال آخر يقول فيه:

صدى صوته على صوتي يجيبي
وجيش الشوق لفوادي محاصر
حبال الوصل عادت تنطوي بي
فدتك الروح لا تقصّ الأواصر

فتركيب «جيش الشوق» و«حبال الوصل»، وتشكلها في الصورة الشعرية هي من أساليب التي استخدمها أصحاب المدرسة الواقعية لاحقاً، واهتمام الشاعر في رسم صور شعرية بهذه الطريقة دليل على اهتمامه بالنص الشعري، على الرغم من انتهاجه مدرسة شعرية مختلفة في الكتابة تهتم بذات الشاعر بمعزل عما يفيد النص الشعري.

أما تركيز الشعراء المدرسة الشعورية فكان يتوجّه إلى رسم الصورة الشعرية باستخدام ما بين جوانحهم أو جوارحهم، بعد أن كانت هذه الصور الداخلية نادرة في المدرسة التقليدية؛ وكان أغلب هذه الصور التقليدية، تتشكل من استعارات ميتة درج الناس على استخدامها؛ ولكن شعراء المدرسة الشعورية وضعوها في قالب شعري لتجميل قصائدهم، ومن ذلك:

يا بوعيانٍ رمشها سهوم
في القلب لي سوّت علايم
غلاك ما ابيعه ولا اسوم
لو بنعطى طيب الكرايم
عزيز مقدارك ومحشوم
يفداك نقّال النمايم
تنزف عيوني دمعها دوم
م الودّ ما ونّت سقايم
هواك بين القلب مرسوم
سوّى يا مضنوني رسايم

نلاحظ الشاعر يبرع في رسم صور مختلفة من الداخل، باستخدام مشاعره في مفردات كالعيون والقلب والدموع، مروراً بالمشاعر كالغلا والود والهوى، وإن كانت الصور مملوءة بالاستعارات التشخيصية والتجسيمية فإن المستمع يخرج بالمفهوم العام من هذه الأبيات، وباللذة التي تخلفها براعة الشاعر في صياغة جملته الشعرية من جانب، ومن جانب آخر نجد المستمع يستمتع بالبعد التصويري، بالإضافة إلى الجانب الشعوري من الصورة، وهنا مثال آخر:

حبيبٍ في حنايا القلب غالي

متوّج بالمحبّه لاوّليّه

وعنوانه صدوقٍ في المودّه

يساوي من سنا عيني صبيّه

تولّى عرش قلبي واستحلّه

ونفسي به عن العالم غنيّه

فوجود المحبوب في حنايا القلب، وتولي عرش القلب بعد ذلك، ومن ثم استغناء الشاعر عن العالم كله، بامتلاك المحبوب إياه في هذه الصورة الداخلية، مؤشر مهم جداً على أسلوب هذه المدرسة، وكيفية تمازج الصورة بالشعور، ولكن السؤال هنا عن المنطق الذي وراء نتيجة حضور شخص في داخل القلب، أن يجعل النفس غنية عن كل العالم!

وجدير هنا أن نشير إلى المنطق الشعوري بدلاً من المنطق العقلي الذي يستقيم في المدرسة الشعورية فحسب، وهذا المعنى «ونفسي به عن العالم غنية» غير منطقي، ولا يقبله العقل، ولكن بالمنطق الشعوري الذي وضعته المدرسة الشعورية، فإن هذا المنطق جميل ومقنع جداً، فالقلب مكان لشخص واحد، ويستطيع أن يكون كافياً للاستغناء عن جميع العالم، ومن هذه الأمثلة:

حبيبي يوم وبعض ايام خصمي

جنابه حلو وفراقه مرير

إذا يسخي كأن الغيث يهمي

وإذا يجفي فلا غيره عشير

فكيف لشخص أن يكون حبيباً ليوم، وخصماً لأيام، وكيف لهذا الشخص إن جفا ألّا يُترك بل يزيد الشاعر التمسك به، هذا منطق غير مقنع إلا عند شعراء المدرسة الشعورية، وهو منطق المحبين الذين يتعايشون مع مختلف حالات المحبة مهما كانت قاسية أو موائمة، بل في بعض الحالات لا نجد الشاعر شاكياً من الجروح، وإنما يتسيغها ويتقبلها بكامل اقتناع، كما في المثال الآتي:

غيورٍ كم سقاني من جراحه

جريح الحب ما يزداد علّه

هبوب الشوق ما ترحم رياحه

إذا هبّت على روضٍ تفلّه

شرى صوت الطفل تسمع صياحه

من يفارق حبيبٍ مشفقٍ له

رعى الله من سقت وجهه الملاحه

مباحٍ له فوادي يستحلّه

فبدلاً من الشكوى والاعتراف بأثر غيرة المحبوب نجد جريح الحب مخدراً بهذا الجرح، ولا يحس بآلام وعلل أخرى، كما هو واضح في البيت الأول، أما في البيت الأخير فإنه يسلّم فؤاده إلى المحبوب؛ ليستحل ما يشاء، وكأن في هذا الألم لذة أو نشوة لا يعرف المحب المتيم. إذ يقول في قمة هذه الجروح بكل بساطة:

قصّت شراييني سيوفك

شربكت دنيانا بدنياك

هنا علاقة بين شرايين المحب وسيف المحبوب، وهي علاقة بدلاً من أن تكون سبباً للتباعد بين الطرفين، أصبحت حجة للمحب للتقرب إلى المحبوب، إذ أصبحت المخالطة بين الدم والسيف رمزاً لارتباط حياة المحب بالمحبوب، كما يشير إلى هذا المعنى في «دنيانا بدنياك»؛ ولكن أي منطق يقنعنا بأن هذا الرباط المبني على الدم والسيف هو رباط يقبل أن يستمر، وأن يكون مبنياً على الود والمحبة، ولكن الأبيات المقبلة مقتنعة بذلك:

كلما عزمنا بانلوفك

أبعدت عنا بعيد لافلاك

بالروف ما نقهر ظروفك

أتعبتنا من لحظ عيناك

يقصر وصفنا عن وصوفك

يا نافل بُحسنك ومعناك

غابت ولا بانت حروفك

على قوافي الشعر وش ياك

متى بتترنم دفوفك

باحلى القوافي لا عدمناك

ونجد أن القصيدة تنتهي باحتفالية الدفوف على وقع أنغام قصيدة رد من المحبوب على قصيدة المحب، وهي كافية للمحب إن تعذر لقاؤه بالمحبوب، كما طلب في بداية القصيدة حينما قال:

ازعلت من كلمة بشوفك

لو ما نحبّك ما طلبناك

يزداد من لاماي خوفك

ونحنا نداري لك ونرعاك

خلاصة القول إن شاعر المدرسة الشعورية وجد في الإعلام الجديد فرصة لانتشار شعره، وإن كان بالاسم المستعار، ووجد آفاقاً أوسع لإبراز المشاعر والتعبير بمباشرة وصدقية، إلّا أن ما حققه الشعراء في المدرسة الرومانسية من مكاسب أدبية كان أكثر من الشعراء التقليديين، وأرضية صلبة لما وصل إليه الشعراء المحدثون بعد ذلك.

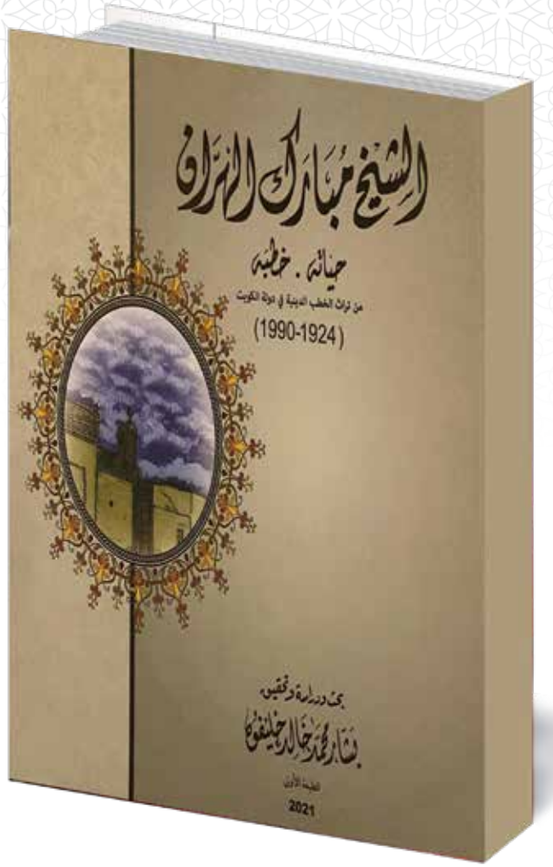

الخطب المنبرية للشيخ مبارك الهران

كثير من الشخصيات المؤثرة في المجتمع تزول من الذاكرة بعد سنوات من رحيلها، وقد يأتي جيل بعدها في تلك المنطقة، لم يسمع بهذه الشخصية، ولا يعرف أدوارها الجليلة التي قدمها للأهالي سابقاً؛ لذا فإن التوثيق والكتابة يكونان ضرورة لحفظ ذاكرة الزمان والمكان.

طلال سعد الرميضي
كاتب – الكويت

صدر حديثاً كتاب قيّم عن الشيخ الفاضل مبارك بن عبدالله الهران – يرحمه الله – خطيب وإمام مسجد المحسن محمد المدعج – يرحمه الله – في السالمية بدولة الكويت، من إعداد وتأليف الصديق الباحث بشار خليفوه، تحت عنوان «الشيخ مبارك الهران: حياته – خطبة»، والشيخ الجليل مبارك الهران من الشخصيات الدينية المعروفة في منطقة السالمية، التي كنت أتذكرها في السبعينيات والثمانينات من القرن الماضي، وقد كنت أحضر في صغري بعض خطبه في مسجد المدعج، وأتذكر هيبته ووقاره، كما هو معروف عنه التقوى والتدين ومساعدة الآخرين.

وقد جمع الأستاذ خليفوه باقة من خطبه المنبرية التي ألقاها في مسجد الشراح ومسجد المدعج، وتدل على علمه الشرعي الغزير، وأسلوبه السلس في أحاديثه

الدينية، وقد جاء الكتاب في 380 صفحة من الحجم الكبير، وقسم مادة الكتاب إلى ثلاثة فصول، وهي نشأته ومحطات من حياته، ثم مكتبته ومدارساته الفقهية، وأخيراً خطبه المنبرية، وهو الذي أخذ الحيز الأكبر في الكتاب، وأرفق صوراً منها، وعدد الخطب الموجودة في الكتاب هو اثنان وستون خطبة منبرية تنوعت موضوعاتها ومناسباتها، لما يفيد الحضور من مصلين صلاة الجمعة، وتتوافق مع فكر الكبار والصغار، لتعليمهم شؤون دينهم الإسلامي الحنيف، ومن عناوين خطب الشيخ مبارك الهران – يرحمه الله – المنشورة في الكتاب، نجد فوائد الصوم ومحاسبة النفس، والتوكل على الله، وأثر الدعاء الخالص في نصرة الحق، وفي فضائل الحج ومنزلة الصلاة، وفي الجهاد وحماية الأوطان، والإسراء والمعراج، وفضل عشرة ذي الحجة، وبر الوالدين، وغيرها من الخطب المؤثرة والمفيدة. وما يميز الشيخ العالم الهران هو طريقة إلقاء خطبه التي تتسم بالهدوء والنصح والموعظة والإقناع، لتلمس منه حرص رجل الدين على سلامة المجتمع من الانحراف، والتحلي بالخلق الإسلامي الرفيع.

ولد الشيخ مبارك الهران عام 1924 بقرية الدمنة (التي تغير اسمها إلى منطقة السالمية عام 1953م)، وأخذ العلم عن والده الشيخ عبدالله بن حمود الهران، خطيب مسجد الأذينة القديم، المتوفى عام 1939م، ثم استكمل تعليمه الشرعي عند مجلس الشيخ يوسف بن حمود، وعده من طلبته النجباء المميزين في الفقه المالكي، ودرس أيضاً عند قاضي الكويت الشيخ عبدالعزيز قاسم حمادة، وأكمل تعليمه في المعهد الديني حتى تخرجه عام 1958م، وكان قبل ذلك قد تولى الإمامة والخطابة في مسجد الأذينة القديم، ثم انتقل لمسجد الشراح، ومنها إلى مسجد المدعج، وكل المساجد التي قام بالخطابة فيها تقع في منطقة السالمية، وتوفي هذا الشيخ الجليل بتاريخ 21 أغسطس عام 1990م، بعد صراع مع المرض.

يقول المؤلف الأستاذ بشار خليفوه: لقد كان الشيخ مبارك الهران ذا سيرة عطرة، فهو من أسرة علمية، أخذ العلم فيها عن أبيه الذي كان من أهل العلم والفضل، إضافة إلى ذلك طلبه عند علماء الكويت المعروفين، مما صقل ملكته الفقهية وأهّله خطيباً مفوهاً، ويضيف بأن شهرة الشيخ مبارك قد بلغت كل أنحاء الدمنة، كأحد رجالات العلم والدعوة، من الذين يقومون بنشر العلم الشرعي، وإفادة الناس بالإفتاء والتوجيه، ومذاكرة العلم والأحكام الفقهية التي تنفع الناس في تطبيق أحكام الدين من طهارة وصلاة وصيام وزكاة وحج، وغير ذلك من المعاملات المالية وغيرها، وقد كانت سيرته المحمودة على لسان أغلب الناس، وأنزل الله القبول بالشيخ مبارك، فقد اشتهر عندهم بحمل الأمانة، حيث كان الناس يضعون عنده أموالهم أمانة في حال أسفارهم، ثم يأخذون منه تلك الأموال عندما يرجعون، كما له أدوار اجتماعية مهمة، كمشاركته المميزة في تأسيس مجلس حي السالمية وديوانية الصيادين، وتصديه للتدريس في مجلسه ببيته.

جهد طيب يشكر عليه المؤلف الأستاذ بشار خليفوه، في بذله في سبيل تحرير الخطب، وتحقيقها، وتخريج الأحاديث الشريفة، وتقديمها للقارئ ليتعرف جانباً من تراث الخطب الدينية في دولة الكويت، ليكون الكتاب إضافة قيمة للمكتبة الدينية بدولة الكويت، لما تمثله توثيقاً للتاريخ الشرعي فيها ولعلمائها الأجلاء.

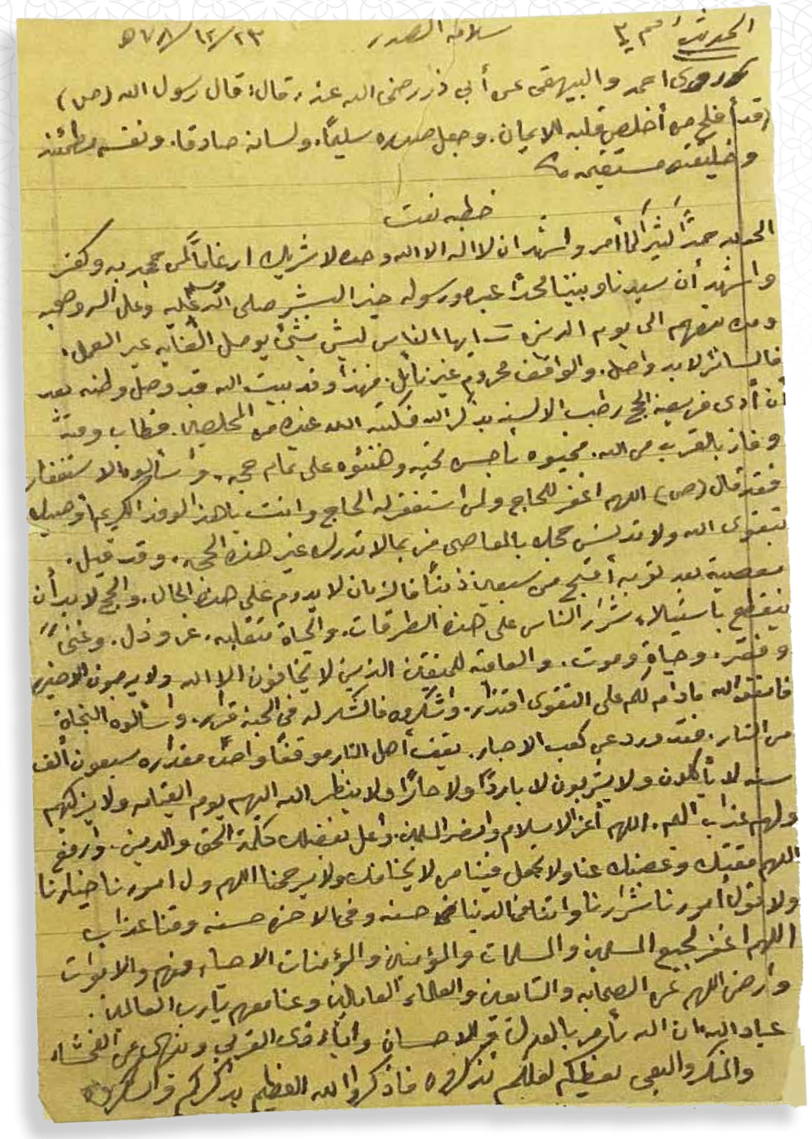

ونشير في الختام إلى كمّ العلماء الأجلاء، والأدباء القديرين، الذين فقد تراثهم العلمي والأدبي في خضم مشاغل الحياة وتسارعها! ورغم ما قدمه هذا المبدع لمجتمعه أثناء حياته، إلا أن مثل هذه الأعمال يكون ذا فائدة عظيمة لتكون سجلاً واقعياً يتعرفه أبناء الأجيال القادمة.

بين أروقة «أيام الشارقة التراثية»

إن الثقافة والمعرفة وعوالم الإنسان التراثية والاجتماعية ركائز مهمة في استمرار هذا التطلع الإنساني الذي تحاول البشرية تشييد صروحه، وبناء قلاعه، وإقامة جسوره المختلفة والمتعددة، وهذا ما كانت ولاتزال تقوم به مدينة الثقافة والأدب، مدينة المسرح والفنون الأدائية والبصرية، مدينة التراث الإنساني.

د. فهد حسين
أكاديمي وناقد – البحرين

إنها الشارقة التي خرجت إلى العام برؤيتها الفلسفية، وخططها الاستراتيجية، وبرامجها التنفيذية، حتى باتت أحد أهم الأمكنة العالمية المعنية بهاجس الشأن الثقافي والأكاديمي والمعرفي والتراثي، ليس على الصعيد المحلي فحسب، بل على مستوى عالمي، إذ باتت برامج هذه المدينة طوال العام، مما فرض على المتابعين والنشطاء في مجال الثقافة والأدب والفنون أن يكونوا موجودين وحاضرين في العديد من هذه المناسبات، لكن الشارقة لم تقف منتظرة حضور هؤلاء وهؤلاء، بل سعت مؤمنة وموقنة بدورها في عالم الثقافة، فكانت هي من تستدعيهم وتستضيفهم، وتقدم لهم التسهيلات اللوجستية؛ حتى يكونوا أكثر قرباً من تلك البرامج والفعاليات التي تقام في مدينة العطاء والسلام، مدينة التواصل الثقافي مع الآخر، المدينة المؤمنة بتلاقي الحضارات والثقافات والشعوب بعيداً عن تلك الترهلات والمعيقات والصدود.

ولحسن حظي أن أكون ضيفاً في مهرجان أيام الشارقة التراثية، في دورته التاسعة عشرة، الذي أقيم في شهر مارس الماضي، وعلى مدار أكثر من عشرين يوماً، وعلى الرغم أنني لم أستطع متابعة كل برامج وفعاليات هذا الحدث الثقافي والتراثي المهم، ولكن في الأيام الثلاثة التي قضيتها بين أروقته، استطعت أن أخرج بمحصلة مهمة ثقافية وحضارية وتراثية، حيث التنوع في كل برامج المهرجان الذي كان مهتماً بالتراث في تكوينه وأساسه، لكنه بسط التنوع في فعالياته وبرامجه، سواء المحلية من فن شعبي ورقص وأزياء، وعروض ثقافية وتراثية، فضلاً عن المأكولات الشعبية التي تعيدك إلى بعض عبق التاريخ وعفوية الحياة.

وما لفت نظري في ساحة المهرجان تقدير المعنيين في معهد الشارقة للتراث، هذا المعهد الذي أوكل نفسه للعمل ليل نهار، من أجل إشعال شموع الحضارة والثقافة والتراث المحلي والعالمي، من أجل بناء إنسان يعتز بماضيه، ويعيش حاضره مفتخراً، ويبني مستقبله ليس على أنقاض الماضي، وإنما على ما تركه الأجداد والآباء من تركة ثقافية متنوعة مادية وغير مادية، لتكون طريقاً لهذا البناء القادم. لهذا لاحظت ما أثلج صدري وأفرحني حقاً، ذلك المتحف الذي أقيم في الساحة نفسها لستة رواد شكلوا بدورهم وعملهم عتبات لبناء

الصروح المهتمة بالتراث، إذ لم ينظروا إلى جنسيات هؤلاء الستة، بقدر ما كان النظر موجهاً لعطائهم وما قدموه، وقد كان أحد هؤلاء الستة الكاتب البحريني المهتم بالثقافة والتراث، خريج جامعة بغداد، إنه المرحوم الباحث عبدالجليل علي السعد، صاحب مجموعة من الكتب والدراسات وقصص الأطفال، هذا الإنسان الذي أفنى جل حياته مخلصاً للإنسان، ولست هنا لأبين دوره وصفاته وأخلاقه، فهو معروف لدى كل من تعامل معه في الإمارات أو البحرين أو المناطق الأخرى، وكما أشيد

بهذا العمل المهم الذي ضم غيره من المهتمين بالتراث عراقيين وإماراتيين أيضاً، فإنني أشيد بذلك النشاط الثقافي المتنوع طوال أيام المهرجان، وما يتخلله من فقرات غنائية وفنية وتراثية وثقافية، وعروض الفرق المعنية بالتراث، بالإضافة إلى بعض الألعاب الشعبية، محلية وعالمية، شاركت فيه ثلاث وثلاثون دولة عربية وعالمية، فضلاً عن العديد من المؤسسات المحلية ذات العلاقة، كل هذا جعل جمهور المهرجان موجوداً كل يوم، وعلى مدار تلك الساعات المخصصة، يتنقل من مكان إلى آخر، والبسمة مرسومة على المحيا، كما يرى الزائر هذا الكمّ من التعامل والتسامح والتعاطي بين المعنيين والجمهور لتذليل الصعوبات، وتصغير العقبات، وإتاحة

الفرصة الكاملة للجميع؛ لاستشاق المتعة والفرحة والمحبة المنتشرة بين الناس في هذه الساحة التي شكلت علامة تراثية وثقافية في تاريخ الشارقة.

أما البرنامج الثقافي، فقد تنوّع بين إقامة الورش التي قدمت من باحثين متخصصين، والبرنامج الأكاديمي الذي قدم من قبل أكاديميين معنيين بمجالاتهم وتخصصاتهم، الذين أثروا كثيراً هذا الحراك، أما المقهى الثقافي فقد كان مهتماً بالندوات الثقافية ذات الشأن التراثي على صعد عدة، إذ كانت هناك مقاربات كثيرة مع التراث، ولكن من زوايا مختلفة، فجاءت بعض الندوات منطلقة من عالم الأدب، وأخرى من عالم الاقتصاد، وثالثة من عالم التكوين العالمي لمفهوم التراث، أو من خلال المفاهيم والمصطلحات، وهكذا كلها تصب في التراث الذي تطمح دولة الإمارات عامة، ومدينة الشارقة خصوصاً، ليكون التراث ليس في دائرة الماضي، وإنما جعله حاضراً في المستقبل.

من هنا أكد معهد الشارقة للتراث، بالتعاون مع مجموعة من الباحثين، على إصدار كتاب معني بثيمة التراث والمستقبل، إذ شارك في هذا الكتاب عشرون باحثاً، قدموا رؤاهم في مفهوم التراث كمصطلح، ومدى أهميته في عالمنا اليوم، ذلك التراث الذي انقطع عنه الكاتب العربي زمناً طويلاً، معتقداً أن الحداثة والمعاصرة والتجديد لا ينبغي أن تتواصل مع التراث، ففي ضوء انبهار الكاتب العربي بالحضارة الغربية، وبالمشهد الأدبي والثقافي، وبالفنون القولية والأدائية والبصرية، لم يعد اهتمامه بالأدب العربي القديم أو بالتراث سواء المادي أو غير المادي، بل حاول أن ينقطع عنه قروناً عدة ، غير أن الثقافة الغربية الحديثة لم تقطع الحلقة مع ثقافتها القديمة وتراثها، وإنما واصلت التواصل معها لأخذها مرآة ودليلاً وطريقاً نحو التحول والتطور والانتقال من حالة معين إلى حالة أخرى، وقد حقق الغرب الذي وضع كل ملفات الحضارة والثقافة والأدب على طاولة النقد والتشريح، في وقت كان الكاتب العربي يبحث كثيراً في القنوات التي تثبت أقدامه بوصفه كاتباً، والبحث عن تلك الإمكانات التي تجذب إليه الجمهور، وتلك التي تدعو إليه ليكون حاضراً في المحافل وعبر الصحافة الورقية والإلكترونية، وبخاصة في ضوء هذا الانفجار الإلكتروني الذي أطلقنا عليه (منصات التواصل الاجتماعي). ثم جاءت النتيجة التي يعرفها القاصي والداني، والمتابع المتأمل الدقيق.

ولكن هناك العديد أيضاً من المعنيين بالتراث العربي، وإيمانهم بدوره في حركة الشعوب وتقدمها، وهو ما

يقوم عليه هذا المعهد، وما هذا الكتاب المعنون بـ«التراث والمستقبل»، الذي قدم المقاربات والرؤى، وصدر مؤخراً، ودشن في المهرجان، يعكس الرؤية المستقبلية التي تشكل هاجساً ثقافياً ومعرفياً لدى المعنيين بالمعهد، فهو مهتم بأهمية حفظ التراث، وصونه من الضياع، ووضع الخطط والاستراتيجيات التي تسهم في إبرازه وتفعيل دوره إقليمياً وعربياً وعالمياً، مع الاهتمام بكيفية تسويقه، ونشره بشكل يقدم صورة ناصعة وجلية للآخر، وهذا ما أكده رئيس المعهد الدكتور عبدالعزيز المسلّم، حين قال في مقدمة الكتاب: «التراث والمستقبل عنوان كبير، وأفق واسع، لا يطرح ببساطة العبارة، وسهولة النهج، وهو منهج اتخذته الشارقة في مسيرتها التنموية خلال نصف قرن، لكن منهج الشارقة كان يوحي دائماً بأن التراث إنما هو ركيزة المستقبل، لا ينفصلان ولا يتعارضان». وهو ما أكده الدكتور منّي بونعامة، محرر الكتاب، حين أشار إلى أن هذه المقاربات والرؤى تحاول محاورة المستقبل بعين فاحصة، ورؤية ثاقبة، وتشخيص للواقع المعيش.

لهذا كان الكتاب مهماً لمعرفة ما ينبغي علينا نحن جميعاً القيام به تجاه التراث (الماضي) والحاضر والمستقبل، ولكن علينا أيضاً ألا نفكر في جمع التراث وحفظه فحسب، فهذا لا يقدم لنا ما نطمح إليه، إنما نحن بحاجة إلى الاهتمام بالتراث الإنساني، وما يحتضنه من موروثات مادية وغير مادية، قادرة على مواكبة تحديات المجتمع العالمي، فقد كان أصحاب الفكر والتطلع نحو مستقبل الأمة العربية قد جاؤوا بأسئلة منهجية وفكرية عدة، لكي يكون التراث ضمن سياق هذا التطلع، لذلك لم يترك التراث بقدر ما تعددت حوله الدراسات والرؤى والتحليلات التي تأخذ التراث العربي عامة ليكون موازياً ما هو موجود في الغرب من عمليات التحديث والتطور في بناء المجتمعات، وقد كان من وراء هذا تعزيز الدور الثقافي من جهة، والتراثي

المتنوع من جهة أخرى، بغية بناء الأوطان والمجتمعات، وإذا كان تطلع الذين أقدموا على مطالعة أوضاع المجتمع العربي، ودخلوا بين ماضٍ يمثل ذوات الشخصية العربية، وحاضر يتمثل في التواصل مع الآخر، فإن الحاجة باتت ملحة اليوم إن أردنا رسم خريطة ناصعة لنا نحن العرب، أن نضيف عنصر المستقبل في هذه المعادلة التراثية التاريخية الثقافية.

وإذا رغبنا حقاً في أن يكون تراثنا وموروثاتنا وتاريخنا الاجتماعي، وما تمثله العادات والأعراف والممارسات لأنماط اجتماعية وثقافية معينة حاضرة في المستقبل الذي لا يبني جسور القطيعة مع العلوم الأخرى؛ لأن مستقبل التراث يتطلب نسج علاقة مع الأدب والفنون، ومع الاقتصاد، ومع التحولات المجتمعية المختلفة، ومع العالم الافتراضي، منصات التواصل الاجتماعي، فكل ما ينتجه العقل البشري مترابط بالتراث بشكل مباشر أم غير مباشر، وهنا علينا أن نؤمن بأهمية هذا الكنوز الموروثة، وأن نؤمن بدراستها وتحليلها، وتقديمها بصورة تليق بها وبالمجتمع الذي خرجت منه، وبخاصة أننا نعيش اليوم حالات غير مستقرة في حركة هذه التحولات المفاجئة في المجتمع الإنساني، ومع هذا علينا أن نؤمن بالتحوّل والتغير والتبدل بين الحين والحين، وفقاً لتطورات الحقول المعرفية في العلوم المختلفة، فحالة التغيير السريعة إذا لم نحسب لها حساباً زمنياً ومعرفياً فقد تتخطانا وتتركنا في زاوية منسية، لذلك لا خلاف أننا قد نعيش حالات انتقال من المعلوم إلى المجهول، ومن المرئي إلى المخفي، ومن الكلي إلى الجزئي، بمعنى أن حالات التشظي وعدم الاستقرار هي ديدن الحالة الطبيعية للعلوم الإنسانية عامة، وهذا ما يتطلب منا الاهتمام بما لدينا من تراث.

صناعة القراءة

حسين الراوي
كاتب من الكويت

للقراءة دور كبير في تشكيل شخصية الإنسان، حيث إن القراءة تُكسب العقل علوماً أساسية ومعارف ثقافية وتجارب حياتية، وتمد الروح بالجسارة والثقة، وذلك لأن الأفراد الملازمين للقراءة عادةً ما يكونون مهيئين لمواجهة الجماهير، ومستعدين للتعامل بشكل جيد مع معظم تلك اللحظات الجديدة عليهم، والمواقف المفاجئة لهم.

عزيزي القارئ، إن في عالمنا شخصيات مهمة، عُرف عنها ولعها الشديد بالقراءة، وقربها الدائم من الكِتاب، وفي مقالي هذا سوف أقدم لك أجمل الكلمات التي تعكس تجارب تلك الشخصيات المهمة مع القراءة والكِتاب، وسوف تجد أنها كانت مُخلصة جداً مع القراءة للدرجة التي انعكس حُبها لها على شخصياتها وسلوكها ومجمل حياتها.

«وإني أخبر عن حالي ما أشبع من طالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره، فكأني وقعت على كنز، ولو قلت

إني طالعت عشرين ألف مجلد لكان أكثر، وإن أبعد في الطلب»، ابن الجوزي.

«لن يكون هناك بلد متحضر حتى ينفق على الكتب أكثر مما ينفق على شراء العلكة»، ألبرت هيوبارد.

«الكتب التي نقرؤها يجب أن نختارها بعناية فائقة، وبهذا نكون كالملك المصري الذي كتب على مكتبته: عقاقير الروح»، أوليفر هولمز.

«كثير من الكتب لا تتطلب تفكيراً كبيراً ممن يقرؤها؛ لأنها ببساطة لم تكلف كاتبها ذلك»، تشارلز كولتون.

«الكتب ليست أكواماً من الورق الميت.. إنها عقول تعيش على الأرفف»، غيلبرتهايت.

«لا أحب الكتب لأنني زاهد في الحياة، ولكنني أحب الكتب لأن حياة واحدة لا تكفيني»، عباس محمود العقاد.

«الكتاب هو المعلم الذي يعلم بلا عصا، ولا كلمات ولا غضب، وبلا خبز ولا ماء، إن دنوت منه لا تجده نائماً، وإن قصدته لا يختبئ منك، وإن أخطأت لا يوبخك، وإن أظهرت جهلك لا يسخر منك»، إليزابيث براوننغ.

«كن سيد الكتب لا عبدها، اقرأ لتعيش، ولا تعش لتقرأ»، إدوارد ليتّون.

«يمكن للكتب أن تفسدنا، كما يفسدنا الصاحب». هنري فيلدينغ.

«ما دخلت على رجل قط، ولا مررت ببابه فرأيته ينظر في دفتر وجليسه فارغ، إلا حكمت عليه واعتقدت أنه أفضل منه عقلاً»، أبو عمرو بن العلاء.

«ليس عليك أن تحرق الكتب لتدمر حضارة، فقط اجعل الناس تكف عن قراءتها، ويتمّ ذلك»، راي برادبوري.

«الجريمة الأخطر من حرق الكتب، هي عدم قراءتها»، جوزيف برودسكاي.

«لا ينمو العقل إلا بثلاثة: إدامة التفكير، ومطالعة كتب المفكرين، واليقظة لتجارب الحياة»، مصطفى السباعي.

«امتلاك الكتاب يصبح بديلاً عن قراءته»، أنتوني بورغيس.

«ليس هناك فائدة من القراءة، إن لم تستمتع في قراءة الكتاب كل مرة تقرؤه فيها»، أوسكار وايلد.

«لقد غبرت لي أربعون عاماً ما قمت ولا نمت إلا والكتاب على صدري»، الحسن اللؤلؤي.

«يجب أن يكون الكتاب فأساً للبحر المتجمد فينا»، فرانتس كافكا.

«دون كلمات أو كتابة أو كتب لم يكن ليوجد شيء اسمه تاريخ، ولم يكن ليوجد مبدأ الإنسانية»، هرمان.

«ليكن غرضك من القراءة اكتساب قريحة مستقلّة، وفكر واسع، وملكة تقوى على الابتكار، فكل كتاب يرمي إلى إحدى هذه الثلاثة فاقرؤه»، مصطفى صادق الرافعي.

«الأمر الوحيد الذي أندم عليه هو أنه لن يتسنى لي قراءة كل الكتب التي أود قراءتها»، فرانسواز ساغان.

«كان عبدالله حفيد عمر بن عبدالعزيز لا يجالس الناس، ونزل المقبرة، فكان لا يكاد يرى إلا في يده دفتر، فسئل عن ذلك، فقال: لم أر قط أوعظ من قبر، ولا أمتع من دفتر، ولا أسلم من وحدة»، ابن عبدالبر.

في نهاية المقال.. إن صناعة القراءة هي أول خطوات الفرد نحو القوة والتميّز في البناء الفكري، وذلك لأن عقل الإنسان يحتاج دائماً للتغذية العلمية والمعرفية؛ لذا علينا أن نتعامل مع القراءة كالصناعة؛ أي كنشاط معرفي لابد من التعمق فيه.

شهادة حجلة

سعيد يقطين
كاتب – المغرب

1. الحديث من القرى:

من فضائل الضيافة العربية ومكارمها ربط تقديم الطعام بالحديث مع الضيف، وفي المثل المغربي: من تجمعك معه المائدة، ولا تأخذ منه فائدة، فرقته زائدة. المائدة والفائدة، والحديث والقرى توأمان. ففي الحديث فائدة، وسيما حين يكون الطعام على المائدة. كتب التنوخي في النشوار أن أبا محمد المهلّبي كان يكثر الحديث على طعامه. وكان يقدّم أطيب الطعام وأطيب الحديث، وأكثره مذاكرة في الأدب، وكان يجمع على مائدته كثيراً من العلماء والكتاب والندماء، وكنت كثيراً ما أحضر.

تنبيه أول: الشيء بالشيء يذكر:

في أحد مجالس قرى المهلبي، كما يقول الراوي الأول، قدِّم إليه في بعض الأيّام طيهوج (طائر من صنف الدجاجيات)، «فقال: أذكرني هذا، حديثاً طريفاً». تشتغل الذاكرة الآن، ويحضر الحديث عن شيء مضى حين يكون ثمة حافز شبيه. طائر الطيهوج نادر جداً. وحين قدم إليه، ذكره بحديث طريف عن طائر الحجل. فكان كل من في المجلس مستعداً للحديث الظريف، «فسئل: ما هو؟».

2. الحديث الطريف: العتبة:

«فقال: أخبرني بعض من كان يعاشر الراسبيّ الأمير، قال: «كنت آكل معه يوماً، وعلى المائدة خلق عظيم، فيهم رجل من رؤساء الأكراد (...). وكان ممّن يقطع الطريق. فاستأمن إليه، فأمّنه، واختصّه، وطالت أيّامه معه، فكان في ذلك اليوم على مائدته، إذ قدّم حجل، فألقى الراسبيّ منه واحدة إلى الكرديّ، كما يلاطف الرؤساء مواكليهم، فأخذها الكرديّ، وجعل يضحك».

إن الراوي الثاني، ينقلنا إلى مجلس آخر للأمير الراسبي الذي كان شبيه المهلبي في إكرام ضيوفه، ومحادثتهم. يتركز الحديث على الكردي قاطع الطريق سابقاً، والذي صار من ندماء الأمير. ولّدت الحجلة التي قدمت إلى التركي موجة من الضحك في سياق لا يبدو أنه داع إليه.

تنبيه ثانٍ: من الضحك ما يقتل:

«فتعجّب الراسبيّ من ذلك، وقال: ما سبب هذا الضحك؟ وما نرى ما يوجبه! فقال: خبر كان لي.

فقال: أخبرني به. فقال: شيء طريف، ذكرته، لمّا رأيت هذه الحجلة».

رأى المهلبي الطيهوج، فذكره بالحجل، فأثار لدى ضيوفه سؤالاً عن الحديث الطريف. ورأى رئيس الأكراد الحجلة، فانفعل، وضحك في مقام غير مناسب. فسأله الراسبي عن سبب ضحكه، فكان الخبر العجيب. من الطيهوج إلى الحجل، انتقلنا من راوٍ أول (الناظم)، إلى راوٍ ثانٍ سمع (الناقل)، إلى راوٍ ثالث (الفاعل) فعل، وفي كل ذلك كان الانتقال من الحديث إلى الخبر.

3. الخبر العجيب:

جاء الخبر على لسان الكردي؛ قال: «كنت أيّام قطعي الطريق، وقد اجتزت في بعض المحجّة (...) وأنا وحدي، في طلب من آخذ ثيابه، حتى استقبلني رجل وحده، فاعترضته، وصحت عليه، فاستسلم إليّ، ووقف، فأخذت ما كان معه، وطالبته أن يتعرّى، ففعل، ومضى لينصرف، فخفت أن يلقاه في الطريق من يستنفره على طلبي، فأُطلَب، وأنا وحدي، فأؤخَذ. فقبضت عليه، وعلوته بالسيف، لأقتله.

فقال: «يا هذا، أيّ شيء بيني وبينك، قد أخذت ثيابي، وعرّيتني، ولا فائدة لك في قتلي».

فكتّفته، ولم ألتفت إلى قوله، وأقبلت أقنّعه بالسيف. فتلفّتَ، كأنّه يطلب شيئاً. فرأى حجلة قائمة، وهي على الجبل، فقال: «يا حجلة، اشهدي لي عند الله تعالى أنّي أُقتل مظلوماً».

«فمازلت أضربه، حتى قتلته، وسرت، فما ذكرت هذا الحديث، حتى رأيت هذه الحجلة، فذكرت حماقة ذلك الرجل، فضحكت».

ماذا يمكن أن يفعل من يكون السيف على رقبته، وهو يدرك أن عدوه مصمم على فعل القتل؟ ليس له إلا إرسال نظره إلى السماء. لم يكن باب السماء مفتوحاً، وقتها، ليحصل ما يزخر به السرد العربي تحت صيغة: «ومن عجيب الاتفاق» الذي يكسر المتوقع، ويعطي القصة مدخلاً جديداً. لم ير سوى حجلة، فأشهدها عند الله: أنه قتل ظلماً. لم يتعظ مصمم القتل بتلك الشهادة، ولم يدرك فحواها العميق، وقد وردت على لسان اعتبره أحمق، فلم يكن له سوى أن ضحك على عقل ضحيته، ولسانه.

تنبيه ثالث: وفتح باب السماء:

يقول مثل مغربي: «الروح عزيزة عند الله»، وكأن المقصود بذلك أن الموت بيد الله، وأن من يتسبب فيه، ولاسيما بغير حق، لا يمكنه إلا أن يلقى جزاءه. ازداد عجب الراسبي من الخبر، ولأنه أصيل، قال: «لا جرم أنّ شهادة الحجلة عليك لا تضيع اليوم، في الدنيا قبل الآخرة. وما أمنتك إلّا على ما كان منك من فساد السبيل. فأمّا الدماء، فما أسقطها الله عنك بالأمان، وقد أجرى الله على لسانك الإقرار عندي، يا غلام، اضرب عنقه. قال: فبادر الغلام إليه، وغيره، بسيوفهم يخبطونه، وضرب كل واحد منهم قفاه، فكأنّ رأسه قثّاءة قطعت نصفين. فتدحرج رأسه بين أيدينا، ونحن على المائدة، وجرّت جثته. ومضى الراسبي في الأكل».

لم يكن باب السماء مغلوقاً. كانت شهادة الحجلة، وضحك القاتل، وسرد خبره سبب موته من عجيب اتفاق آخر، يكون الحديث مع القرى دائماً ذا فائدة، وإن اختلفت نهايات الرواة.

فيها تذكير وتحذير للجزائر المستقلّة وأهلها

«الزلزال»

رواية حداثيَّة لتُراث الإنسان والمكان والزَّمان

خالد عمر بن ققة
إعلامي – الجزائر

للتراث حضور في النصوص الأدبيَّة ـ شعراً ونثراً ـ يُجَمِّلُها وجوداً، ويَروِي تجارب البشر من خلال شخوصها والتعبير عن العلاقات والأفعال والقيم، ويُشكِّل بُعْداً معرفيّاً تطوى فيه الأزمنة طيّاً، من حيث الرجعى والصدى، ويعيد تعمير الأماكن، سواء أكانت أطلالاً في الذاكرة وفي الواقع، أم كانت متواصلة في رحلة الحياة، حيث استحضار التأسيس في الرّاهن، وفي النهاية تعدُّ النصوص موروثاً ثقافيّاً حيّاً، قد يُسْهم في متعة المطالعة، ويُضْفِي ويضيفُ لنا مزيداً من المعرفة.. هنا قراءة في رواية «الزلزال».

تُعدُّ رواية «الزلزال»، للكاتب الجزائري «الطَّاهر وطَّار» عملاً إبْداعيّاً حمل في مضامينه المتعددة استقراءً لمستقبل الجزائر في بداية عقدها الثاني بعد الاستقلال، استناداً للتغيرات الاجتماعية على خلفية التطور السياسي الحاصل، وفيها يبدو الموقف الأيديولوجي السياسي للدولة حديثاً صارخاً من لدن عامَّة الشعب، مصحوباً بحالة من الزهو غير الواعية والمكلِّفة في آن من جهة، والمُتطلِّعة بشوق وبخوف وبحذر من مستقبل أوشك على أن يكون حاضراً من جهة أخرى.

هذه الرواية هي الثانية للكاتب الطَّاهر وطَّار، وقد صدرت في طبعتها الأولى عام 1974م في بيروت، وشقَّت طريقها بعد ذلك في طبعات جزائرية عدة في سنوات: 1981، 1982، 1983، 2005، 2013م، كما نشرت هذه الرواية في أكثر من بلدٍ، وبأكثر من لغةٍ، وهي تدرَّس إلى جانب رواية «الأم» لـ«مكسيم غوركي»، و«العقب الحديدية» لـ«جاك لندن»، في المدارس النقابيَّة والحزبيَّة، ناهيك على أنها من أهم أعمال الطاهر وطَّار، حتى إنها زادت من شهرته محليّاً وعربيّاً ودوليّاً.

حين صدرت هذه الرواية في طبعتها الأولى عام 1974م، كانت الجزائر المستقلة في عامها الثاني عشر، ومع ذلك فقد جاءت الرواية شاهدة على الميراث التاريخي للمجتمع الجزائري، في تطوره نحو صيرورة ظهرت مبكراً، وكشفت عن صراع وشيك، تعمق في العقود التالية إلى أن بلغ الذروة في سنوات الدم خلال العشرية السوداء التي عرفتها الجزائر منذ نهاية عام 1990م.

وعلى الرغم من أن الرواية قد كشفت ـ وقت صدورها ـ عن حداثة، وعصرنة، إلا أنها ركزت في مقاربتها في استناد مرجعي واضح على التراث الديني من خلال التدين الشعبي لجهة رفض التغير الحاصل أو قبوله، كما عمقت تحليلها، حتى جاذبيتها ـ على النص الديني، في سند معرفي، وأيديولوجي، وعقائدي يتخذ من بعض آيات القرآن أساساً وركيزة، وأحياناً لفعلِ البطل في رحلة بحث عن مخرج ينقذُ به أرضه من تأميم اقترب منه لدرجة الاختناق.

ولم تكتف الرواية بالجانب المعرفي، سواء الفكري منه ـ الظاهر والمُضمر ـ أو المتعلق بمواقف الناس في مدينة

قسنطينة، الأصليين أو النازحين إليها، أو ذكريات الراحلين عنها بالهجرة أو الموت، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، في جعل الأحْياء والمعالم والأماكن المسكونة بالبشر، مثل المساجد وأضرحة الأولياء، والمهجورة مثل الآثار، تشغل حيِّزاً وجوديّاً في خطاب البطل، بل إنها حديث معظم الشخوص، فمنها يستمدُّون قوة الدفاع، في محاولة لإثبات الدور والمكانة، ومنها يبررون الفعل ورد الفعل في رفضهم أو قبولهم للتغير الحاضر.

الأماكن في هذه الرواية ليست تراثاً ماديّاً شاهداً على التغيرات، وحافراً أخدوداً في ذاكرة مدينة قسنطينة يعود بعضه إلى آلاف السنين فحسب، ولا هو كاشف فقط عن فعل الغزاة للجزائر، أو حتى تلاقح الأفعال المادية والحضارية، إنما هي هذا كله، مضاف إليها صوتها ـ بأنواعها المختلفة، سواء تلك التي مخصصة للحياة الدنيا أو تلك التي تشق طريقها نحو الآخرة، أو الجامعة بين الاثنتين ـ صوت مقبل من بعيد، لكن يبدو ابْنَ اللحظة التاريخية للجزائر المستقلة.

من ناحية أخرى، فإن الأماكن تطغى بصوتها أحياناً عن أصوات البشر، وأحياناً تندمج معها في سياق تاريخي، يصعب عن القارئ مهمة الفصل بينهما، ويبدو أن الكاتب قصد ذلك بوعي، والقول هذا آت من اختياره لعناوين فصول الرواية كلها لأسماء أماكن في قسنطينة تحمل رمزية في حاضرها، مثلما كانت في الماضي البعيد منجزاً معمارياً حضارياً، إنها جسورها التي تميزت بها ولاتزال، فقد جاءت بالتتابع كما هي في فصول الرواية السبعة: «باب القنطرة، سيدي مسيد، سيدي راشد (أطول فصول الرواية)، مجاز الغنم، جسر المصعد، جسر الشياطين، جسر الهواء».

وبأسلوبه الجذَّاب يجعلنا الطاهر وطار نتفاعل مع سيرورة أحداث الرواية، فها هو بطلها «عبدالمجيد بو الأرواح» يتوجّه من العاصمة نحو قسنطينة بعد غياب دام ستة عشر عاماً، بغية إنقاذ أرضه من التأميم الزراعي، عبر توثيقها لأقاربه، يستفيدون منها بعد وفاته بالحيازة والتصرف، بدءاً من ابن أخيه، وذلك كله ـ كما ذكرت سابقاً ـ تفادياً وتداركاً لقرار الحكومة بتأميم الأراضي، فيجد نفسه يسترجع ذكريات مدينته قسنطية، مقارناً بين ماضيها وحاضرها، في سيطرة تامة للرَّاهن عليها.

يعيد بوالأرواح إلى تذكر قسنطينة، ومنذ البداية تسيطر عليه فكرة الزلزال بكل تجلياتها المختلفة، بعد أن استمع إلى وصف «زلزلة الأرض يوم القيامة» في خطبة صلاة الجمعة، وكلما غاص في عمق هذه المدينة المعلقة إلى الجسور، صار هذا الزلزال وشيكاً، فيستتجد من هول الإحساس به ـ في محاولة جعله يطال الآخرين دونه ـ بتلاوة بعض الآيات الخاصة بالزلزال داخله، لكنه يصدر حكماً قاسياً عنها، بقول هو أقرب للتقرير:

«قسنطينة الحقيقية انتهت، أقول: زلزت زلزالها، لم يبق من أهلها أحد كما كان، أين قسنطينة بالباي وبالفقون وبن جلول وبن تشيكو وبن كراره؟ زلزلت زلزالها، زلزلت زلزالها، وحلّ محلها قسنطينة بوفنارة وبوالشعير وبوالفول وبوطمين، وبُو كُلّ الحيوانات والنباتات». (ص22).

في رحلة البحث تلك، تميّزت قسنطينة في الماضي برُقيّ قاطِنيها على اختلافهم الجذريّ، ونظافة شوارعها وجُسورها السّبعة العتيقة، وفيها عاش وحقق وأنجز

بعض رموز الثّورة الشعبية الموزعة على أرضها.. وكل ما عَهِده بوالأرواح في الماضي، إذا به اليوم يفاجأ بقوم آخرين أفرغوا قسنطينة من روحها السّابقة، روح الأماكن والشّوارع، روح رموز الثّورة والمجاهدين، روح الأولياء الصالحين... لتبدأ رحلة استكشاف قسنطينة الجديدة.. والبحث عن ابن أخيه، غير أن الغضب يتملكه، ويزداد بالسخط بعد فشله في لقاء أقربائه الذين انتقلوا من حال إلى حال.

يتفاعل أبوالأرواح مع الوضع الجديد للأماكن، ويعتبرها شاهدة في حالها اليوم عن التغير الحاصل، لكنه في شكله السلبي، وهو ما توضحه الفقرة الآتية: «لم يبق من الحياة السابقة إلا الآثار.. هدموا عالماً وأقاموا آخر، داسوا فوق عنق روح قسنطينة، وراحوا يضغطون، وهاهم يضغطون أكثر فوق صخرتها»، (ص32)، وكل هذا لأنه يعيش في صراع علني ومفزع بين عالمين متناقضين من حيث طبيعة السلطة التي تتحكم في كل منهما، ومن خلاله يتم تسير المجتمع نحو أهداف حقيقية أو وهمية، الأول عالم ما قبل الاستقلال الذي كان محكوماً بسلطة الشيخ، وعالم ما بعد الاستقلال الذي لم يعد كذلك.

أبوالأرواح يوظف الميراث العربي للحكم عن الأشياء والعلاقات والبشر، مستجداً بمقولات تراثية أحدثت جدلاً واسعاً على مر التاريخ، فيعمل على تكريسها للاستشهاد بها على الواقع، خاصة في جانبه السلبي، ومنها رأي عبدالرحمن بن خلدون عن العرب، فنجده يقول:

«ابن خلدون يُخلَّد في النار على عبارته، فالعرب الذين جاؤوا بالدين الحنيف، لا يمكن أن يكونوا شعاراً لخراب الحياة، لكن ها هو الواقع يصدقه، فلم يقتصروا على تخريب الحياة فقط، وإنما انطلقوا إلى الدين أيضاً يخربونه.. كلّاً كذب ابن خلدون، وخلد في جهنم، هؤلاء ليسوا عرباً، وليسوا بربراً، ولا حتى وندالاً أو تتاراً أو مغولاً أو أقباطاً، هؤلاء إما أن يكونوا رُوساً سلّطهم الله على البلاد ليحكموا مقوماتها، وإما أن يكونوا بلا أصل ولا فصل، ولا دين أو ملّة..». (ص33)

تختلط ذكريات قسنطينة وأهلها، مع تجربته الخاصة، وعلى ما فيها من سيئات وخطايا إلا أنه لا يشمل نفسه بالزلزال، مع أن أفعاله أثناء الحقبة الاستعمارية تجاه الأقربين منه كانت جرائم ظلت تطارده، وها هو الآن في لحظة يتداعى وعيه وتطارده عبر الماضي الأسود مع زوجاته، وزوجتيّ والده، وزوجة أخيه، اللاتي لقين حتفهن على يده، وهذا يخص ماضيه الشخصي.

وذاك الماضي لم يكن في معزل عن كوابيس الحاضر من هذا الواقع الجديد، خاصة أنه غير مصدق ما آل إليه أهله الذين احتقرهم في زمن مضى، وأهانهم أشد إهانة، واليوم هو في حاجة ماسة إليهم لحماية أرضه من التأميم.

حالته تلك، بما فيها من ذكريات شخصية آثمة غير مكترث بها، وما فيها من ذكريات لأماكن تغيرت ولبشر سادوا، وورثوا سلطة فرنسا الاستعمارية، وأيضاً بما فيها عن بحث شاق منه في محاولة للنجاة، أفقدته الصواب، وانتهت به إلى محطته الأخيرة عند «جسر الهواء» بمدينة قسنطينة، وهو يصرخ بأعلى صوته في حال من الجنون، محاولاً الانتحار، والأطفال حوله ضاحكين مقهقهين، لكن يقبض عليه، ويحرم حتى من محاولته الجنونية الانتحار، وهكذا يشمله الزلزال النفسي، وزلزال التاريخ والجغرافيا.

قراءات في مصادر وذخائر التراث العربي

«دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب» للمُعلّم بطرس البُستاني

يُوصف بطرس البستاني، صاحب «دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب»، بأنه كاتب موسوعي المعرفة، وأحد أقطاب النهضة العربية الحديثة، بجانب كونه أديباً ومؤرخاً صاحب إنتاج غزير من المؤلفات في مجالات اللغة والأدب والتاريخ الخطابة وغيرها، ويعد كتاب «دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب»، الذي جاء في أحد عشر مجلداً، من أهم مؤلفاته.

حجاج سلامة
كاتب – مصر

وفي هذا الكتاب، يوضح لنا بطرس البستاني – الذي كان يُلقب بالمعلم بطرس – أهمية المعرفة ودورها في الارتقاء بحياة الأمم والشعوب، وفي هذا يقول: إن احتياجات الأمم وأحوالها تختلف باختلاف الزمان والمكان، وإنه لابد لكل أمة من استنباط الوسائط الأدبية والمادية الموافقة لأحوالها واحتياجاتها.

ويؤكد أن المعارف أساس لإتقان الزراعة والصناعة والتجارة، وأم للاختراعات والاكتشافات، وينبوع للثروة والقوة، ومصدر للرفاهية والمحافظة على الصحة، وركن لانتظام أحوال الهيئة الاجتماعية، وإدراك دقائق السياسة، ولتثقيف العقل وصحة الحكم وتهذيب الأخلاق وتحسين العادات، والوقوف على التعاليم الدينية، واكتشاف العلل والأسباب وأحكام الأعمال وضبطها، إلى غير ذلك.

وعظّم بطرس البستاني، من قيمة المؤلفات الأجنبية المعروفة، واعتبرها من أسباب المنافع العمومية التي تبسط أمام المطالع كل علم ومعرفة وفن وصناعة وحكمة، بل كل ما في العالم من المطالب والمعارف المهمة، معتبراً إياها بأنها تفتح الأبواب لجميع ما ذكر مع سهولة مراس وقرب مأخذ، حتى إن كل شعب متمدن قد أدخل تلك المؤلفات في لغته وزان جِيد مكتبتها بقلائدها.

ويوضح لنا البستاني في كتابه «دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب»، أنه لمّا كان لابُد لأهل اللغة العربية من الحصول على ذلك لمناسبة أحوالهم وترقية أسباب التقدم والتمدن والثروة والرفاهية والعلوم والمعارف في ربوعهم، لكي ينخرطوا في سلك من نهج هذا المنهج من معاصريهم، ولاسيما بعد أن كثرت عندهم المؤلفات والجرائد، ورأوا أنهم في حاجة لتحسين كل عمل من أعمالهم لمجاورتهم البلدان المتمدنة.

وكأن المعلم بطرس البستاني، كان يستشعر بأنه سيأتي يوماً ما من يسوق له الاتهامات، مثل قول بعضهم إن «البستاني» له دور تغريبي، وإنه «متأثر بالفكر والمنهج والفهم الغربي» – وذلك وفق دراسة أكاديمية للباحث هاشم بن خاطر عبدالرحمن البركي، بجامعة أم القرى

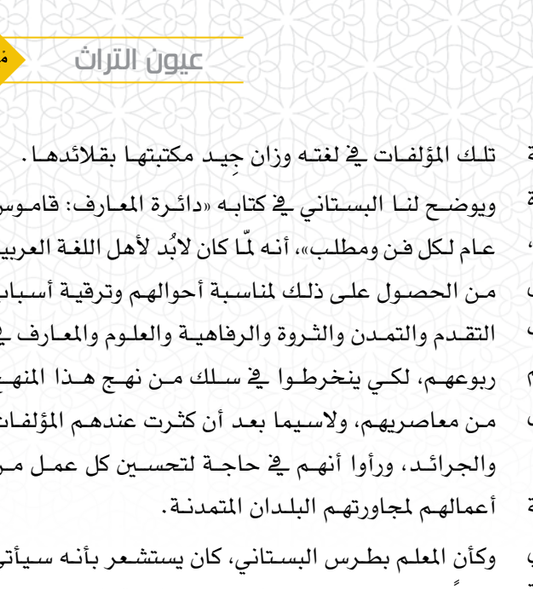

آب

اولاً لقب للاقدمو الاول من الاقاليم الثلاثة عند النصارى وقد اتبعوا سنة منذ القرن الثالثة المسيحية بينه وبين الاب بالنصرى العربية الذي يطلق ايضاً على جبل الاقنوم الاول

ثانياً اسم شهر سرياني الاصل يقال له بالفرنساوية Août (أو) بالانكليزية August (اوكست) وهو الشهر الحادي عشر من السنة الاسرائيلية المدنية والخامس من السنة الدينية . وفيه ثلثة صيامات فهو في الدور الاول لتذكار موت هرون . وفي التاسع لتذكار احراق الهيكل المرة الاولى والثانية . وفي ١٨ منه لتذكار انتقاء المصباح في ايام الملك احاز . وهو الشهر الثاني عشر من السنة السريانية . والشهر الثامن من السنة العربية والقبطية الافرنجيين القمريين ايامه ٣١ يوماً . وفيه ثلثة اعياد عند النصارى في ٦ منه عيد التجلي وفي ١٥ عيد السيدة العذراء بتقدمة فطاسة ١٥ يوماً عند الروم وفي ايام عند الجزاية وفي ٢٩ منه عيد قطع راس يوحنا المعمدان فهي في هذه الايام في الحساب الغربي عند الغربيين والشرقي عند الشرقيين . وهو موافق لشهر اغسطوس الافرنجي وهو في الاصل شهر رومالي اسمه سكسيلس (Sextilis) اي السادس لانه كان الشهر السادس من ستيهم التي كانت تبتدئ في شهر اذار (ماريس اوبارت) وجعله يوليوس قيصر ٣٠ يوماً وزاده اوغسطوس قيصر يوماً واحداً . وهو الشهر الذي تلقى فيه اوغسطوس المذكور منصب قنصليته الاولى اي رياسة الحكومة الرومانية وانام فيه ثلثة احتفالات بلاثة فارغية ماتعادا الجدود الثيوسي واخضاع البلاد المصرية واتحد زمان حربه اهلية . فاراد مجلس المشيوخ (Senatus) الرومالي بان يرضية فخرّم اسم ذلك الشهر وسماه اوغسطوس باسمه بعد ان كان سكسيلس كنامر . واسمه عند العبرانيين بذل على انحصاد وكذلك عند الهولانديين وقد صاغ الاسبانيون منه فعلاً معناه اتمام بالحصاد . والجرمان القدماء سموه باعتبار شهر حصر الخمر . وبمرّ الزمان عند الملوك جعلوه بصورة رجل عربان ذي شعر منتشر بدون

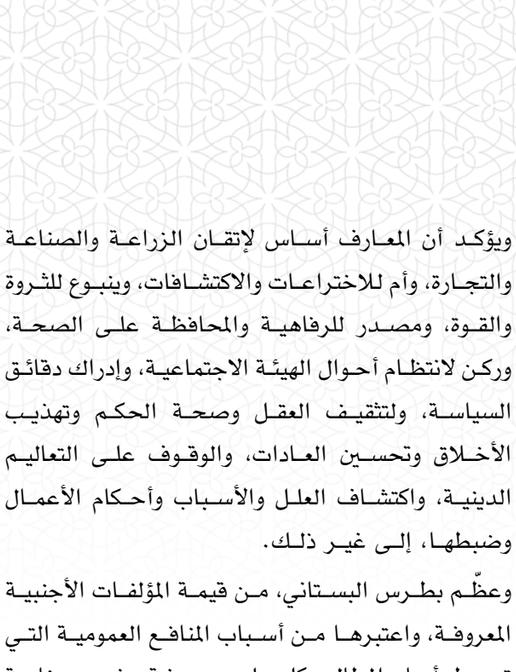

باب الهمزة

ا

الالف المفردة في اول حروف الهجاء في كل اللغات المكتوبة الا اللغة العبرية فهي فيها الحرف الثالث عشر والثلثة الزوية التي فيها الحرف العاشر وقد ذهب جماعة الى ان مثلا الحرف لا حس له ان يكون اول الحروف الهجائية وحالفهم الاكثرون وذهب قوم الى ان وضعه في اول الحروف الهجائية في جميع اللغات المحروفة الا ما عبر دليل على ان اصل الكتابة في اللغات واحد والذين يدّعون بحق القدم لا يستغنون المذكور بدل على اول صوت متحلي والنقط به مجهور لفم الم من دون ضغط على آلات الصوت او تحريك المتحرين ولذلك قد اختلفوا وكلفات كثيرة ما يلفظ به الاختلاف في اول تعليم كلاب واسم مدلّ في اللغات السامية . واسم هذا الحرف في تلك اللغات ألف بالعربية وألاف بالسريانية وأليف بالعبرانية وهو من اصل ليفوفو وسماه في العبرانية لوز سمي بذلك لان صورة مسمّاه في اقدم صور الحروف الهجائية كالنبيقية تشبه راس الثور كما ترى في الشكل الاتي امامك

شكل ١

وهو في حساب الجمّل عبارة عن واحد من العدد . وذكر ان جاوّ في سر الصناعة ان الالف في الاصل اسم الحرف واستعمالها اياها في جميع اوزانها وتصاريفها . وقد ذهب جمع الحروف على ان الالف ليست بحرف تام بل هي عبارة جميع الحروف فان الحرف التام هو الذي يتمين له صورة في الخط وفي اللفظ والكتابة معاً والالف ليست كذلك فان صورتها تظهر في الخط لا في اللفظ فكمن الهمزة ذهب جماعة صورتها في الخط لا في اللفظ فجميع الهمزة والالف متفقتان في حرف واحد وتختلفان الالف على الهمزة اما تكونا امّا للساكنة والحركة جميعاً او على سبيل الخيار تكونا تكتب بصورة الالف اذا كانت في اول الكلمة

واما اظهار الهمزة في العربية فلوجود علامة لحركة احد الاقرباء فاذا كانت مضمومة فاسمه مقام ٥ وتا واذا كانت مفتوحة فاسمه مقام ٥ واذا كانت مكسورة فاسمه مقام ٥ وذلك بحسب اصطلاح اللغة اللاتينية واللغة لا يعدلها اياها في لفظ هذه الاحرف ولذلك كان باب الهمزة اطول من ابواب سائر الحروف في الشاير

آ–Aa

يؤون ما لفظة مأخوذة من اللغة الكلدية واصلها Aeh (آخ) او من اللغة النوبية واصلها Aa (آ) ومعناها على كلا الوجهين الماء الجاري وهي

اولاً اسم لغو . ١ جزء صغيراً في اوسط اور بابوها الجاري فحص شهرها بالذكر وهي اولاً جزء في هولاندا في بريمت الشمالية بمر في مقعد ويلتقي بنهر دومبل في مواقيمك . ثانياً نهر في هولندا بجنوب ليدن . ثالثاً نهر في الجزيرة الغربية من بلجيكا في ولاية الفلاندر يصب في بحر الشمال . رابعاً نهر في ولاية الفلاندر يصب في بحر الشمال . خامساً نهر في بريمت بالقرب من بريدا . سادساً نهر في ولاية ليفونيا الروسية يصب في خليج ريغا تامسافة ٢٤٠ كيلومتراً . سابعاً نهر في كورلند يصب في نهر دوبا بالقرب من ريغا . ثامناً نهر في هانوفر يصب في نهر لمس من ولاية لبجن . تاسعاً نهر في ولاية آرغوفي سويسرا يحمل ماء بحيرة طويل الى الآر . عاشراً نهر في سويسرا يصب في بحيرة سرنين ثم في بحيرة لوسرن . حادي عشر نهر يجري في وادي اللجارجو ويصب في بحيرة لوسرن حتى سويسرا . ثاني عشر نهر في ولاية الدور من فرنسا طولة ١٨ كيلومتراً يمر في سنت اومر وهناك يجتمع بنهري الشن الصغيرة ويصب في بحر المانش عند غرافلين . وربما اضيف عندهم الى آسمائه نهر سميرسما كتلفاً احد من كتب متصلاً بها كيولندر آوبر بشر آ فاندا الى غير ذلك وقد يكتب منفصلاً عنها هكذا غلدن آوهلم جرّا

ثالثاً اسم عائلة قديمة العهد ذكرت كثيراً في تواريخ هولاندا ومن جملة الذين اشتهروا منها اولاً كرستيان شابل هنري احد الشعوبيين اللوثريين ولد في مدينة زوول سنة ١٧١٨ وتوفي بها سنة ١٧٩٣ كان من معاصري الملك لويس الخصوص في اللاهوت . ثانياً هلد برند فان در وهو اصغر اخوة يتعرفان در الكتبي ولد في لندن وكان ماهراً في فن التصوير فاستخدمه اخوه في عمل صور لمؤلفاته . ثالثاً يتعرفان در الكتبي المذكور ولا يعلم بالضبط تاريخ ولادته غير انه توفي سنة ١٧٣٠ وله مؤلفات كثيرة منها تاليف يتعلق في علم الجغرافيا صاغه الدنيا كيت جميل وهو ٦٦ مجلداً وله اطلس يحتوي على ٣٠٠ وجه وتاليف اخر صغيرة الاسفار في شرقي الهند وغربيها غير ان تاكيفه لم تبق زماناً طويلاً بل متبوئة عند الجمهور . رابعاً يتعرفان در احد الحاكمين في الامور الشرعية ولد في لوفاند سنة ١٥٣٥ وتوفي في كلكمبرغ سنة ١٥٩٦ وقد الف بعض كتب مفيدة في القوانين . خامساً جوهارد فان دركان من مشاهير محبي الوطن في هولاندا نبغ في ايام الملك فيليب الثاني

في المملكة العربية السعودية - حيث كتب صاحب أول موسوعة عربية للمعارف، أنه تجنب في كتابه «دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب»، كل ما هو من قبيل الخلاعة، وما يمجه السمع أو يخلّ بالآداب العامة، وأنه التزم في تلك الموسوعة بأن يهذب كل ما كان من هذا القبيل - أي كل ما به خلاعة ويخل بالآداب العامة - أو حذفه، وأنه جعل أساس تلك الموسوعة «خلو الغرض من كل وجه، والابتعاد عن التحزبات، بحيث يكون كتاباً عموميا لكل الملل والمذاهب».

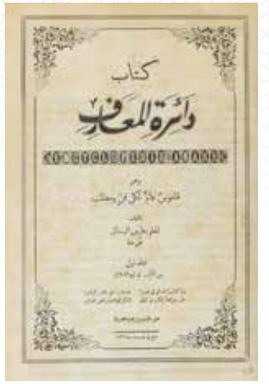

وأشار إلى أنه لم يألُ جهداً في التحقيق والضبط والتدقيق، و«على قدر ما تقتضيه طبيعة الموضوعات، وما يحتمله المقام»، والاعتماد في ذلك على أشهر المؤلفات من الكتب التاريخية، والجغرافية، والعلمية، والدينية، والأدبية، والسياسية.. إلخ، بجانب مخاطبة الدوائر الرسمية المختصة، والمصادر الموثوقة، والوقوف في بعض الموضوعات على كلام المؤلفين السالفين.

ويؤكد المعلم بطرس البستاني أنه قد «بذل الوقت والمال، واستخدم كل ما يلزم استخدامه لكي يكون هذا التأليف - كتاب دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب - حائزاً من الإتقان والضبط والدقة والمحسنات ما يكسبه رضى العموم وثقتهم وارتياحهم... على أننا مع ذلك لا ندعي السلامة من العيار؛ لأن الجواد قد يكبو، والصارم قد ينبو، والإنسان محل النسيان».

وقد جعل «البستاني» من كتابه «دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب»، دائرة معارف للمطالعة وللمراجعة أيضاً، حيث أدرج فيه كل ما تصبو النفس إلى الوقوف عليه من «أطايب أشعار العرب، وترجمة بعض أشعار اليونان والإفرنج، ومن الحكم والأمثال».

وقد غطت دائرة معارف المعلم بطرس البستاني، مختلف العلوم والمعارف، واحتوت على تصنيفات كثيرة، منها العلوم الإلهية والفلسفية، كعلم الكلام والفلسفة وفروعها، والعلوم المدنية والسياسية كافة، والأنظمة المدنية والحقوق الطبيعية والقانونية والعمومية والتجارية والجنائية، والعلوم التاريخية كالجغرافية بفروعها، وعلم التاريخ القديم والحديث، وعلم الآثار والميثولوجيا اليونانية، وغيرها من الخرافات القديمة، والعلوم والحساب والجبر والهندسة وفروعها، والعلوم الآلية والكيميائية، كالفلسفة الطبيعية وعلمي الفلك والكيمياء، بجانب الأوزان والقياسات والمسكوكات، وكذلك الكواكب السيارة والثابتة والبروج والمنازل وذوات الأذناب والشهب، والعناصر وما يتعلق بها كالحرارة والبرودة.

وكذا الحوادث الجوية، كالشفق والبرق والرعد والمطر والصواعق، والحيوان والنبات والمدن وما يتعلق بذلك، والعلوم الطبيعية كعلم طبقات الأرض والمعادن والنبات والإنسان والحيوان والطب وفروعها.

كما أوردت الموسوعة فروع الآداب والفنون، كعلم اللغة والفصاحة والبيان والشعر والإنشاء والتاريخ الأدبي، والموسيقى والتصوير والطباعة وكل ما يتعلق بذلك.

بجانب العقاقير وصفاتها ومنافعها ومضارها وما يتعلق بها، ووصف طبقات الأرض وحوادثها، كالزلازل والبراكين النارية، ووصف الكرة الأرضية من تخطيط بلدانها، ووصف طبائعها وتجارتها، وعدد سكانها وتاريخها وحدودها، وهوائها وتربتها ومزروعاتها وحيواناتها ونباتها ومعارفها ومدارسها ولغاتها، ووصف بحار الدنيا وأنهارها وجبالها وأوديتها وسهولها وخلجانها وبحيراتها ومضيقاتها وكهوفها وجزائرها ومناطقها وترعها وجسورها وطرقها الحديدية.

كما أورد لنا «البستاني» في تلك الموسوعة: «دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب»، ذكر الإنسان وما يتعلق به، كمشاهير الرجال والنساء من قدماء ومعاصرين، وأشهر أعمالهم وتواريخ حياتهم والمؤلفين منهم ومؤلفاتهم.

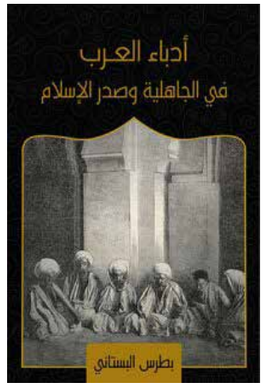

بجانب ذكر الطوائف من كل الأجناس، وما يتعلق بهم، وأسماء كل الأمم منذ ابتداء التواريخ إلى الآن، مع تواريخ أعمالها وحروبها وعوائدها وملابسها، وغير ذلك من متعلقاتها، وكل دول العالم وأملاكها ونظاماتها ووزاراتها وجيوشها وقواتها العسكرية وقوانينها ومداخيلها ومصروفاتها.

كما ذكر لنا أيضاً: الأوصاف الغريزية كالحسن والقبح والكرم والبخل والفضيلة والرذيلة، وذكر الصنائع بأقسامها وفروعها ومخترعيها، والاكتشافات فيها، وكيفية العمل والأجزاء والمواد اللازمة لها.

وفي شرحه محتويات «دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب»، يشير «البستاني» إلى أنه حرص على أن يزين دائرة معارفه بكثير من صور مشاهير الرجال والأماكن والحيوانات والبناتات والآلات العلمية والصناعية، ووفقاً لقوله «فهي والحالة هذه قاموس عام للمعارف من جغرافية وتاريخية وعلمية وصناعية وسياسية وأدبية».

ويذهب المعلم بطرس البستاني، إلى القول إن كتابه أو موسوعته تلك «تحتوي على كل ما تصبو إليه النفس، وتُغني مقتنيها عن مكتبة كبيرة».

وقد رتبت «دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب»، ترتيباً قاموسياً سهلاً، يُمَكنُ كل من يعرف القراءة من أن يستعمله «فيكفيه أن يعرف تهجئة الكلمة التي يحتاج إلى البحث عنها فيطلبها في الحرف الأول منها، سواء كان من أصل الكلمة أو مزيداً فيها».

يذكر أن لبطرس البستاني مجموعة من المؤلفات المتنوعة، والتي توزعت على شتى المعارف والعلوم، ومن هنا جاء وصف الكتّاب والنقاد لـ«البستاني» بأنه «كاتب وباحث موسوعي»، ومن بين تلك المؤلفات هناك «محيط المحيط»، «معارك العرب في الشرق والغرب»، و«أدباء العرب في الأعصر العباسية»، و«معارك العرب في الأندلس»، و«أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام».

أيام الشارقة لا تنقضي

ما إن بدأت «أيام الشارقة التراثية» هذا العام في دورتها التاسعة عشرة، في العاشر من مارس 2022، حتى ظننا أنها انقضت سريعاً كعادة الأيام، تشرق الشمس ثم تغيب.

لكن أيام الشارقة شمسها لا تغيب، فبقدر ما حفلت به من فعاليات، اجتمعت مادتها وصورها من شتى بقاع العالم، حيث احتوت من الفكر والتراث والفنون، ما فيه غذاء العقل، وإطراب السامع، وسرور عين الرائي، مما لا يتسع الوقت لذكره، والقلم لوصفه، واللسان للحديث عنه، وبقدر ما احتوته من فكر وتراث وفنون، أضحت حديث العالم.

فبقدر إشراق الشارقة على العالم في تلك الأيام، وما أضاء شعاعها عبر الآفاق، إلّا أن الجدير بالذكر هو توزيع الأيام بفعالياتها المتميزة في عموم الإمارة، فكانت رعاية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله ورعاه، والتحرك الدؤوب من سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث رئيس اللجنة العليا للأيام، للوصول بها إلى العالمية، فكانت خير وافد لأهل المكان وزواره، بل انبثقت منها أنشطة وفعاليات أخرى تعنى بالتراث ومكوناته، مما تزخر بها

سلامة الرقيعي
كاتب – مصر

عاصمة الثقافة والكتاب، التي حق لها أن يطلق عليها إشراقة النور والعلم، فهي شارقة بكل ما فيها، باسقة في معانيها وما تحتويه من ذخائر.

لقد أعطت تلك الأيام لمن عاينها وتابعها ذخيرة من الثقافة والتراث،

قد جُمع في صعيد واحد (ساحة التراث)، وأنت تمشي بين جنباتها تستجمع الماضي في أبهى صوره، ليأخذك نحو المستقبل بخُطا سريعة، كأنه يعبر بك إلى آفاق رحبة، ليس لها مدى أو نهاية، فكل يوم يكون مستقبلاً لليوم الذي سبقه، ويكون ماضياً لليوم الذي يأتي بعده، وهكذا تعيشنا الأيام بعبق الماضي، وواقع الحاضر،

وتطلعات المستقبل، لتكون علامة ونجمة ساطعة في سماء التراث والثقافة، فحق لها أن تكون في الاهتمام الأممي؛ لتميزها وتنوّعها وثباتها منذ بدايتها حتى الآن.

«درب مُليحة» للقاص البحريني إبراهيم سند:
تغريضٌ الرّمز في ثنائية التراث والعلم

مجتهداً، يمضي الكاتب البحرينيّ إبراهيم سند في مشروعه الكتابيّ، كأحَدِ روّاد فنّ القصّة في البحرين والخليج العربي، بعد نتاجاته الكثيرة الموجّهة للطّفل والنّشء الجديد، منها: «الطيور الزرقاء»، «أجمل إحساس»، «الزمرور الضاحك»، «الوقت المناسب»، «وطن النخلة»

الحسام محيي الدين
كاتب – لبنان

» والتي نهضت عليها تلك الرّيادة على مستوَيَين في مُمكناتها: الأوّل هو المثابرة في خوض تجربة كتابية، تحملُ معنى الوَعْي المعرفيّ الذي يخدم مجتمعه، على الرّغم من استعصاء الاتفاق على تقاليد موحدة، مُتفرِّدة، لخصائص القصّ بين النقاد حتى الآن، أما الثاني فهو كَسرُهُ مع آخرين فكرة احتكار الإبداع القصصي،

الأستاذ ابراهيم سند مكرماً في الشارقة

وتمركزه في بقعة أو منطقة جغرافية بعينها في أنحاء الوطن العربي. في مُنجزه الجديد «درب مُليحة» الصادر عن معهد الشارقة للتّراث، في طبعته الأولى 2022.

ينطلق إبراهيم سند بصوتٍ واحد ضمنيّ مخاطِباً فئات عمرية للنّشء من سبع سنوات وما فوق، ويقودنا فوراً إلى اجتماع شخصيتَين أساسيتَين، هما سيف وصقر، استسلما للتّعب بعد نهارٍ طويلٍ من اللّعب، وحلول المساء، فانطلقا في نَسْلِ الخواطر ونسج الأسئلة بالسجيّة، وهما يستشكلان ببراءة واضحة الحقائق المتعلقة بما اتّسعَ لهما من مساحة السماء التي تزينت بأنوار القمر، وبديع ما تجمع حوله من النجوم والكواكب. سرَحَ الطفلان بعيداً في التفكّر في خلق الله، سبحانه وتعالى، مُحاولَين تهجئة المفاهيم بالحوار المُتخيَّل عمّا يدور حولهما من ظواهر الطبيعة، كأنْ تفقد الأرضُ قمرها، وما يستتبع ذلك من نوائب ليس أقلها توقف المدّ والجَزْر ورحيل الأسماك عن الشاطئ، عطفاً على اسودادِ السّماء وانتشار الخوف والاكتئاب ودخول المستشفيات التي ستغصُّ بالنّاس، فيما لو فقدوا الحبّ والحنان، ما يضطرهم إلى الهجرة إلى بلادٍ، أو ربّما كواكبَ أُخرى تمثّل فيها الطِّفلان عالَماً من الأساطير اختارَ منها صقر «الرَّجُل الجبّار»، الأسطورةَ الأحبَّ إلى قلبه. تحقّقَتْ أمنية الطفل الصغير حالاً، ففاجأهُ هذا الرّجُل فعلاً بالظهور مُبدياً المودّة والسّلام، رغم قوته التي لا يقف أحد في طريقها، كما قال، ومقدِّماً نفسه بأنه الرجل القادم من «درب التّبانة»، عرّفها للطِّفلَين بأنها مجرةٌ عملاقة إلى جانب مجموعاتِ الكواكب

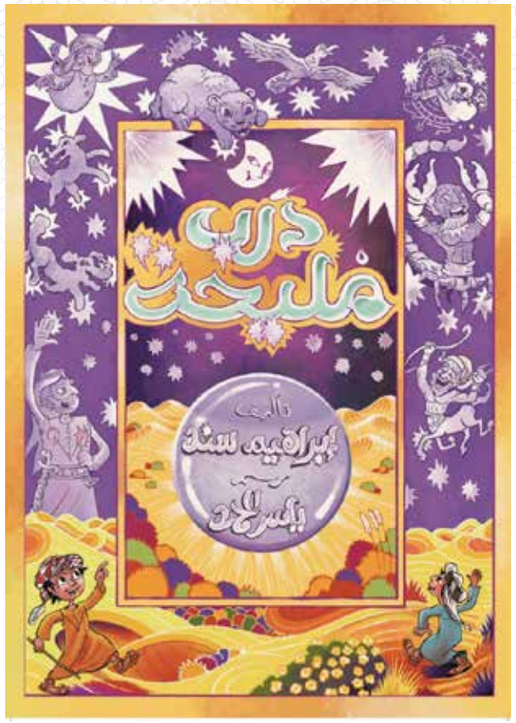

والنجوم الرديفة التي بدأ بعضها بالهبوط سِراعاً، وهي: النّسر الواقع، نجمُ الشمال، نجمُ سُهيل، الدبّ الأكبر والدبّ الأصغر اللّذان يضيئان القطب الشمالي كله، فضلاً عن كلبين يحرسان الرجل الجبّار. تزامنَ هذا التجمُّعُ مع انطلاق موسيقى ماتعة في أنحاء الفضاء، وأخذَ شكل «التجمع العائلي البهيج» في احتفاليّة تسرُّ القلب، حتى تدخّل «العقرب المُرعِب» الذي هبط إلى الأرض زاحفاً على الرِّمَال ليُبارزَ «الرّجُل الجبّار»، بعد مواجهةٍ سابقةٍ بينهما، ما دفعَ «الميزان» للتدخُّل فاصلاً بين الاثنين، مانعاً الاقتتال وناطقاً بالحكمة، وهو يفسِّرُ حركة الكون بأسراره الغامضة السّاحرة الجميلة، مما تجبُ معرفتُه في خدمة خير الإنسان والخلائق عامّةً. فُضَّ الاجتماع بعدما ظهرَ «رأس الغول» على شكلِ امرأةٍ

وإعادة إنتاجها للمُتلقّي الذي هو الطّفل، مِمّا يُمكِنُ هضمه وفهمه بأريحية وتناسُبٍ دلاليّ عميق فجّرهُ سند في كلّ ثيمةٍ، مع مُراعاةٍ واعية لمستوى اشتغال التّخييل في ذهنه توّاً مع تحفيز أرومة حواسِه الوليدة. ففي الوحدة التُّراثية شكّلت كُثبانُ «مُليحة» صوتاً تراثياً وازناً في بناء أدبية القصّ، وهي وإن لعبتْ دورها كفضاء مكانيّ مألوف، إلا أنها قدّمتْ للطِّفل انزياحاً ذاكِراتيّاً نوعياً تحولَ في خطِّ السِّرد عن كونها صحراء عادية إلى مكانتها كحاضرةٍ مُدينيّةٍ عريقة منذُ كانت مركزَ تجارةٍ إقليميّاً قديماً في منطقة الخليج العربي،

يتبدّلُ شَعرُها إلى أفاعٍ تُحوِّلُ كلّ من يراها إلى حجَر، ما أخافَ الجميع فغادرَ أهلُ السّماء، وبقيَ سيف وصقر وحيدَين حائرَين في كيفية العودة إلى منزليهما في حلكة اللّيل، حتى رافقهما «نجمُ سهيل» و«نجمُ الشمال» طيلة الطريق بنورهما الساطع، حتى نقطة الوصول إلى «صخرة الجمل»، التي تهديهما إلى منزليهما. وفّرت «درب مُليحة» فانتازيا رؤى مُبهِجَة في المواقف المُبتكَرَة التي رتّبَها الخطاب الحكائيّ للسّرد من ألفه إلى يائه، مُتناسلاً بين وحدَتَين قصّيتَين: التّراث، العِلْم، رسَمَتا روحَ الوظيفة الفنيّة لتجربة الكاتب من جهة، وكتَبَتا مناخَ الدّهشة المُتوقّعة في تطوّرِ المَشَاهِد من جهة ثانية، كما تعالقَتا رمزياتٍ نوعية اتّسمت بالشّفافية بعيداً من الغموض، قريباً من تدوير المفاهيم الكُبرى للحياة

عطفاً على معطى تاريخيّ آخَر هو مكان حقيقيّ في منطقة «مُليحة» كانَ آكدَ تأثيراً وفنية في رمزيته؛ نعني «صخرة الجمل» التي تحوّلَتْ بقوّة عوامل الطبيعة ولآلاف السنين إلى منحوتة حجرية مشحونةٍ بالتحفّز والحضور الجَماليّ، وكأنها الجمَلُ فعلاً. فقد توأمَتْ رمزيةُ هذه الصّخرة مستوَيَين من الدّلالة: الأوّل مادي/ عضويّ، بوصفها نقطة الانطلاق التي هَدَتْ سيف وصقر في رحلتَي الذّهاب والعودة إلى منزليهما، وهدّأتْ من روعَيْهما لمُجرّد رؤيتها، والثاني معنويّ/ هُويّاتيّ، جعلَ من الصّخرة عاملاً نفسياً وبؤرةً حكائيّة ولّادة بالتّناص مع المعنى الإيجابي لامتداد التاريخ في ذاكرة النّشء الإماراتي، والشّارقة تحديداً، مع ما توافر بقوة في سيميائية الأسماء والأمكنة الأصيلة: سيف وصقر، مليحة، صخرة الجمل، وغيرها مما يتصل بالبيئة العربية، حيث تنبسطُ مجريات القصة، ويستحقُّ البحث مما لا يتسع له هذا المقام. على ضفة أُخرى، وفي

الوَحدة العلمية ابتدرَ القاصّ، على لسان شخصياته، المُسلّمات العلمية التي ستستتبعُ فرضيةَ فُقدان القمر، فجعلَ منها هدفاً نبيلاً لمُنجزه القصصي، بما هي مادة معرفية تُغني ثقافة النّشء كتوقّف حركتَي المدِّ والجَزْر ونقص الأسماك والسّواد الذي سيلُفُّ العالم، عطفاً على مسألة الفَرْق بين الكواكب والنجوم ثمّ تعريفها: درب التبانة، النّسر الواقع، نجم سهيل، الدّب الأكبر والدُّبُ الأصغر، الميزان، العقرب، رأس الغول، وكيف أنها لا تصطدم ببعضها لاختلاف المسارات، وأنّ الحياة عليها من دون ماءٍ وهواءٍ أمرٌ مستحيل.

هنا ظلّت شهوة التّرميز مُتملِّكة في إمكانات النص، وهيَ تقودُ إشاراتٍ وَعَويّة لعلاقة الإنسان بالكون من حوله، كإسقاط معنى المناسبة العائلية السعيدة على اجتماع المجموعة الشمسية، لكنّها بدَتْ أكثر دلالةً في استحضار «الميزان» كشخصٍ خياليّ وهبته السماء لمنع الحرب بين «الرّجل الجبّار» و«العقرب»، ورمز فاعل وظّفهُ «سند» مستلهماً بنجاح أخلاق الدّين الحنيف، فهو العدل في القرآن الكريم، وضعهُ الله سبحانه وتعالى للفصل بين الناس، وانتظام أحوال معيشتهم بالحقّ المبين. وفي كلا الحالين، التّراث والعلوم، فنحنُ حكَماً أمام موقفٍ أدبيّ أحالَ النصّ بأحداثه العجائبية التي تخرق قانون الطبيعة، وما أحاط بها من مغامرات ومفاجآت متوالية، إلى مسارٍ اجتماعي مفتوح على خطابٍ تربويٍّ يُؤوِّلُ الحياة للنّشء بين طرَفَي الشكّ واليقين، من لَدُن قاصٍ مُؤمنٍ مُجرَّب، وينطلقُ من الخاصّ أو حوارٍ بريءٍ بينَ طِفلَين، إلى العام أو استشكال أحوال واقعِ التعاملات الإنسانية.

ولأنّ القصة خطابٌ لغويّ، يجدرُ بنا العُرُوج ببيانات اللائحة التقنية التي خدمَتْ المستويات الدلالية للنص، كالتّنضيد حيث تكوّرتْ كل وَحدة قصّية على أفكار سردية وجيزة، اغتَذَتْ بالحوارات التي ابتعدتْ في ثناياها من التسجيلية الجافّة، فأعطتْ لكلِّ شخصية صوتها الطبيعي في نظام لفظيّ دالّ، غيرَ مجّانيّ، وثيقَ الصِّلة بمدلولاته، ثمّ الوصف في لُغتهِ التي انتظمت الجُمَل بين اسمية وفعلية، وأظهرتْ لنا مُتعة المسرود بين الجَزْل قوةً ونضارة، والرّقيق لُطفاً ولِيناً ومودة، فلا توعُّر أو تقعُّر، كما لا ضعفَ ولا ركاكة، فكلُّ شيءٍ في مكانه الصحيح، عطفاً على التّقطيع بمعناه المشهدي المعبر في لوحات القصّ عن رؤية الكاتب تلميحاً لا تصريحاً. بهذا المعنى لم يتأخّر إبراهيم سند في رَفْدِ تقنياته بتمثُّلٍ استعاريّ ماتع، تداخلت فيه دوائر التخييلي بالواقعي، فأنجز بنايةً فنية تتفتحُ على النّشء بنوافذها الملوّنة لتستنطق آماله ورؤاه في غير زمانٍ ومكان، مُدركاً بعمق لُعبة الأجيال، بعيداً من الفوضى، وتحييداً لضوضاء مشكلات الكبار.

عبدالعزيز المسلّم

المسافر المفتون بحب المدن

يُطلق مفهوم أدب الرحلات على ذلك النوع من الفنون الأدبيّة، الذي يهتمّ بالانطباعات الصادرة عن المؤلف، من خلال ما يقوم به من رحلات إلى البلدان على اختلاف الغايات التي حدثت من أجلها هذه الزيارات، ويترك هذا الفن من الفنون الأدبيّة لدى القارئ انطباعاً عن الآثار التي يحتوي عليها المكان الذي تتم زيارته، من خلال توثيق ذلك في النصّ الأدبي، لينتج ما يعرف بالآثار الأدبية.

د. أماني محمد ناصر
كاتبة - سوريا

كما يصف الكاتب في مؤلفات هذا النوع من الفنون الأدبية، ما تقعُ عليه عينه من تصرفات الناس وعاداتهم وما هم عليه من سلوكيات في التعامل مع من يقابلهم، كما يأتي على ذكر الأحوال المعيشيّة والأنماط الاجتماعية والاقتصادية للبلدان التي تتم زيارتها، كما كان لأدب الرحلات دور مهم في الدراسات التاريخية المقارنة[1].

عرّفت الموسوعة العربية العالمية: «بأن أدب الرحلة هو الذي يصوّر فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور أثناء رحلة قام بها لأحد البلاد[2]».

والرحلة لغة: رحَلَ يَرحَل، رَحيلاً وتَرْحالاً ورِحْلَةً .

و«الرِّحْلَةُ بالضّمّ والكسرِ، يُقالُ: إنّهُ لَذُو رِحْلَةٍ إلى المُلوكِ ورُحْلَةٍ حَكاهُ اللِّحْيانِيُّ أي ارْتِحالٍ، والرِّحْلَةُ بالكسرِ: الارْتِحالُ لِلْمَسِيرِ[3]».

واصطلاحاً» :أدب الرحلات، مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق[4]».

و«أدب الرحلات هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدوّن وصفاً له، ويسجل فيه مشاهداته، وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعب[5]».

الأسلوب والمستوى الفني

الأسلوب الذي اتّبعه الدكتور عبدالعزيز المسلّم في «مدوّنة مسافر» كان أسلوب الوصف، فقد غاص في بعض التفاصيل التي تجعلك تشعر كأنك موجود في هذا البلد الذي يتحدث عنه المؤلف وتنظر في كل الاتجاهات الثقافية والأدبية والسياحية والجغرافية فيها، وتتعرف إلى تراثها وثقافتها...

اختار المؤلف لوناً أدبياً خاصاً به، مستخدماً أسلوب السرد الذي تماشى مع غايته من كلّ رحلة قام بها، ومستخدماً أيضاً أسلوب الملاحظة في تسجيل أهم ما مرّ به في كل رحلة. فمنها وصف لجغرافية البلد وطبيعتها، ومنها لعادات البلاد التي زارها، وللثقافة التي تتميز بها كل دولة، وتسجيل ملاحظات حول تراث كل بلد ولغته وأصالته وأدبه وفنّه وإنسانيته وأخلاقه وانتمائه لوطنه.

وألقى المؤلف الضوء على بعض الأماكن بطريقة السيرة الذاتية والرصد، حيث رصد كل مكان زاره، ما أعطى قيمة أدبية وقيمة علمية للكتاب.

ومن أجمل ما قرأته في هذه المدونّة ما جاء في مقدمتها:

«هناك مدن تريح القلب وتهدأ على عتباتها الروح، فعندما تحلّ في مدينة ما داخل دولتك أو خارجها، تدهمك أحاسيس خاصة بكل مدينة، فهناك مدن ينبض فيها قلبك وتثور روحك غصباً، طالبة رحيلك منها، ومدن يهدأ القلب فيها وترتاح الروح طالبة البقاء فيها لأوقات أطول».

دوافع الرحلات في «مدونة مسافر»

ما يميز هذا الكتاب هو التنوّع في هدف كل رحلة، ومن أهداف الرحلات التي قام بها المؤلف، الاكتشاف، السياحة، تقديم خبرته الثقافية والتراثية والمعرفية للبلدان التي زارها والإفادة من الخبرات الثقافية والتراثية والمعرفية لهذه البلدان؛ أي تبادل الخبرات، والكتاب كان فرصة لاكتشاف البلدان التي لا نعرف عنها إلّا اليسير، ومع كل رحلة كتب عنها المؤلف نجد دافعاً جديداً، فمثلاً مدينة نور سلطان في جمهورية كازاخستان، كان الدافع إلقاء الضوء على ثقافة بلده وتراثها وفنونها واقتصادها:

«وكان مقرراً للزيارة أن تقدّم بعض الإضاءات المشرقة لبلادنا في الخارج، وقد كنتُ أحد أقطاب تلك الزيارة مع نخبة طيبة من أبناء الإمارات، جاؤوا من جميع أنحاء الدولة تقريباً، ليُقدّموا الوجه المشرق لدولتنا الحبيبة من (الثقافة والتراث والفنون والحِرَف التقليدية والاقتصاد والتجارة، كما جاؤوا لإحياء ذكرى يوم الشهيد واليوم الوطني)».

القيمة الفنيّة والأسلوب الأدبي:

وأنت تقرأ الكتاب تحتار كيف كُتب، فاللغة الشعرية تطغى في بعض الجوانب، ما جعلني أبحث في الشبكة العنكبوتية عن السيرة الذاتية الكاملة للمؤلف لأكتشف أنه بدأ كتاباته كشاعر، إضافة إلى اللغة النثرية المميزة والأسلوب القصصي المحكم بعناية، كما في وصفه رحلته إلى «بيت الإوز» في أمريكا.

«في عام 1995 كانت زيارتي الأولى للولايات المتحدة الأمريكية، كانت تلك الرحلة بين شهري إبريل ومايو، وكنتُ حديث التجربة قليل المعرفة بما عليه أنا الآن، وكانت الرحلة لرحلة عمل، لكنّ الشغف والشوق كان

كبيراً لزيارة إلى العالم الجديد. الرحلات الجوية في تلك الفترة لم تكن بهذا اليسر، سافرتُ من دبي إلى لندن على متن الخطوط الجوية الكويتية، ومن لندن ...إلخ».

ثمّ تجد نفسك أمام أسلوب السيرة الذاتية كما في حديثه عن مصر:

«لقد فرحتُ كثيراً بزواجي عام 1993، وقد قسمت شهر العسل إلى قسمين، أسبوع في خورفكان، وثلاثة أسابيع في مصر، وكانت أياماً رائعة تمشينا فيها على كورنيش النيل، وزرنا المتحف المصري في ميدان التحرير، وأماكن عديدة مثل الأهرامات وخان الخليلي والحسين، وخلال تلك الزيارة كوّنا عدداً من الصداقات التي لاتزال حتى اليوم».

تساؤلات تغلفها المحبة

الشعور بالمحبة كان يغلّف كل الرحلات التي قام بها للبلدان والدول، تساءل الكاتب فيها أسئلة عدّة، معبّراً عن هذه المحبة، فعلى سبيل المثال، بدأ حديثه عن الكويت ومصر بوصف محبته لهما متسائلاً:

لماذا نحب الكويت؟

كيف لا نحب مصر؟

وأجاب عن هذا السؤالين: «نحب الكويت لأنها سكنت في الذاكرة، ورسمت ملامح حب لا يُبلى، وتراث لا يفنى، فالكويت في ذكريات الطفولة، وفي ذكريات الدراسة، وهي في ألف باء الثقافة والفن، فكيف لا نحب الكويت؟!».

ثمّ تابع حديثه عن ثقافتها وتمدنها وعلمها وتحضّرها وثقافتنا العربية الأولى التي ارتبطت بالكويت ارتباطاً وثيقاً.

أما في مصر، فبدأ الحديث عن ثقافتها أولاً، ذاكراً فضل مصر على الثقافة العربية، وعلى العلم ومسيرة الفن كلّها، وختم حديثه عنها بهذا التساؤل المغمور بالمحبة:

«بحق، لا يمكن إحصاء عدد اللحظات الجميلة في مصر، فكل التفاصيل وكل اللحظات، لا يمكن وصفها إلّا بالحسن، وكل التفاصيل هي من فسيفساء الجمال الحقيقي، فكيف لا نحب مصر؟».

وظائف أدب الرحلات في مدوّنة مسافر:

لأدب الرحلات وظيفتان: وظيفة معرفية، ووظيفة أخلاقية، وأضاف إليها الكاتب عن طريق تسجيله الملاحظات حول كل دولة زارها وظيفة ثالثة هي الوظيفة الوصفية...».

الوظيفة المعرفية:

الوظيفة المعرفية في أدب الرحلات تعني إعطاء معلومات عن الأماكن التي زارها الرحّالة وثقافة الشعوب، وعاداتهم، وعن جغرافية الأماكن وتراثها وتاريخها ومعارفها وعلومها وآدابها، ما يقدّم للقارئ إفادة علمية وثقافية وأدبية.

في مدونة مسافر نقرأ عن ذلك، فعلى سبيل المثال جاء في موضوعه عن «تلك التلّة فوكيت»

«التلّة أو فوكيت، هي عروس جزر مملكة تايلاند، تقع في الجنوب على بحر أندامان، وكانت تسمى جونكسيلون، وتاريخياً كانت جونكسيلون مركزاً مهماً للتجارة، وتبلغ مساحتها 570 كيلومتراً مربعاً، وتشكل الجبال 70% من مساحة الجزيرة».

كما نقرأ في الكتاب وصفاً لثقافة الشعوب والمكتبات التي زارها المؤلف والمهرجانات والندوات والمؤتمرات

الثقافية التي حضرها، وكلّ جديد اكتشفه فيها، إضافة إلى الإفادة الثقافية والتراثية التي قدّمها لهذه البلدان والإفادة التي نالها من هذه الزيارات.

«إنّ بلاد القوقاز حُسن وثقافة وتاريخ لابدّ أن يُكتشف».

الوظيفة الأخلاقية:

الوظيفة الأخلاقية في أدب الرحلات هي «إبداء مواقف من أنماط السلوك»، وجاء حديث المؤلف عن أنماط سلوك الشعوب وحسّهم الوطني، وتمسك بعض الشعوب بلغتهم الأصلية، فنقلها الكاتب إلينا بكلّ أمانة، كما جاء في حديثه عن «البرازيل وطن الأحلام».

«الملاحظة المهمة التي أرى أنها لُبّ الوهج البرازيلي، هي أنّ البرازيليين على الرغم من تعدّد أعراقهم وألوانهم ودياناتهم وأهوائهم واتجاهاتهم، جمعتهم اللغة، وأضع تحت اللغة مليون خط، فاللغة التي تحوي المشاعر والمعاني الجميلة، والعلم والحكمة هي الوطن، الوطن الذي نخاطبه بلغته ويخاطبنا باللغة نفسها التي ارتضاها لنا، وارتضيناها لأنفسنا حباً به».

الوظيفة الوصفية

في إطار تعريف الوصف والسرد، فإنّ التعريف الاصطلاحي للوصف أنه بمثابة استراحة يقتضي فيه عادةً انقطاع السيرورة الزمنية، وتعطل حركتها، وهذه الاستراحة بالوصف يُحدثها الراوي أثناء سرد الحكي، أما الحكي فيقوم الحكي عامة على أساسين، فالأساس الأول هو أن يحتوي على قصة ما تضمّ أحداثاً معيّنة، أمّا الأساس الثاني فهو إعانة الطريقة التي تُحكى بها هذه الأحداث، وتُسمى الطريقة سرداً، والقصة الواحدة يمكن أن تُحكى بطرقٍ متعددة، والسرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي تلك.[6]

في أغلب كتب أدب الرحلات نجد الوصف فيها، لكن أن يوظّف الوصف من بداية الكتاب وحتى نهايته مرة

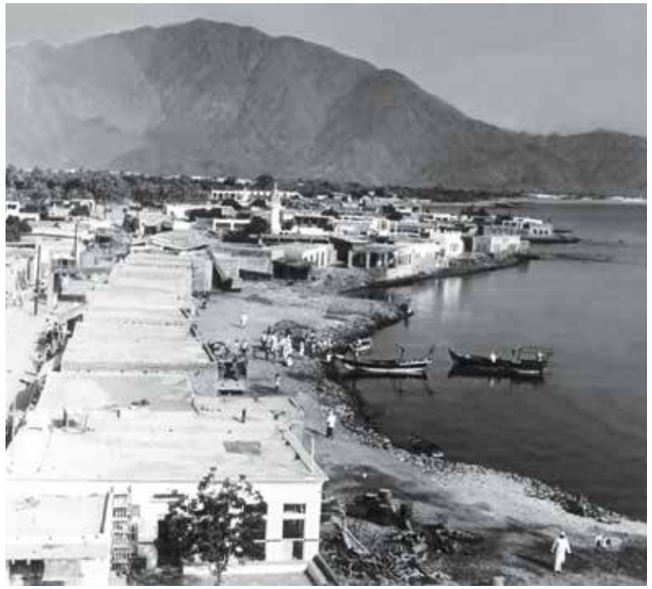

بطريقة الحكاية ومرة بطريقة السرد ومرة بطريقة السيرة الذاتية، فهذا ما يجذب القارئ لقراءة المحتوى بجلسة واحدة، فالعناوين المميزة والوصف السلس والدقيق لكل بلد تمّت زيارته بما لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة من الصفحات، حقيقة يسجّل للكاتب.

قام المؤلف بوصف دقيق لكل بلد زارها، بطريقة الوصف كما أشرتُ سابقاً وطريقة السرد، وجاء بعضها بطريقة الحكاية التي كانت بضمير المتكلّم (أنا، نحن)، ولم يتّبع أسلوب الحوار في كتابه كما نجد في بعض كتب أدب الرحلات.

حينما تبدأ بقراءة «مدونة مسافر» لا يمكن أن تفعل شيئاً قبل إنهاء هذا الكتاب الذي ينقلك من بلد إلى آخر، وأنت جالس في مكانك، فمن يريد ثقافة عن البلدان، سيجدها في هذا الكتاب، ومن يرد استراحة من عناء العمل فسيجد استراحته في هذا الكتاب، ومن يريد السفر إلى بلد ما ومحتار في اختياراته سيكون هذا الكتاب عوناً له في اختيار البلد الأنسب له؛ لأنه سيجد وصفاً دقيقاً لكل ما ترنو له نفسه من استراحة أو ثقافة أو سياحة.

ومما جاء في وصفه لوطنه الإمارات:

«في الإمارات العربية المتحدة مدينتان فيهما حب وشوق فريد، هما مدينة العين التي لها تأثير وجداني عميق وراحة روح قلّما تجد لها مثيلاً، فهي مدينة هادئة ولطيفة، تشم في هوائها رائحة النخيل، ويلامس شغاف قلبك لطف أهلها وترحابهم الدائم. أما المدينة الإماراتية الأخرى، فهي خورفكان التي كان لطفولتي نصيب منها، فهي مدينة لا تجلب إلّا المودة، تسكن فيها الروح وتأتلف القلوب، ولها أكبر نصيب من نسمات بحر العرب، وزئير الأشرعة، وخيرات البحر».

وفي وصف إحدى المدن التي زارها يقول المؤلف:

«مدينة هلسنكي في فنلندا هي أيضاً من المدن التي يحتويني الشوق لها، فهي مدينة آسرة بهدوئها وروعة تنظيمها واعتنائها المدلّل بتراثها الثقافي وذاكرتها الشعبية».

أما خاتمة الكتاب فكانت بالحديث عن «شوارع لا تنسى»، منها شارع العروبة من أشهر الشوارع في مدينة «الشارقة» الإماراتية وشارع «أبوفيان» في جمهورية أرمينيا، وشارع «محمد علي» في جمهورية مصر، وشارع «المتنبي» في بغداد وشارع «إم جي» في الهند.. إلخ.

الكتاب يُعتبر شاهداً معرفياً وثقافياً، وهو من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، صادر عن دار كلمن للنشر عام 2021، الشارقة، من القطع المتوسط ويقع في 173 صفحة.

1 . https://www.marefa.org/ أدب الرحلات.

2 . الموسوعة العربية العالمية، 136/11.

3 . المرتضى، الزّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية – الرياض، 2010م، 61/29. (ر ح ل).

4 . إميل يعقوب وبسام بركة ومي شيحاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية: عربي – إنجليزي – فرنسي، دار العلم للملايين – لبنان، ط:1، 1997 م، ص: 25.

5 . إنجيل بطرس، الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال – مصر، العدد 7، 1975م، ص:52.

6. حميد لحمداني (1991)، بنية النص السردي (الطبعة الأولى)، بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، صفحة 45-76.

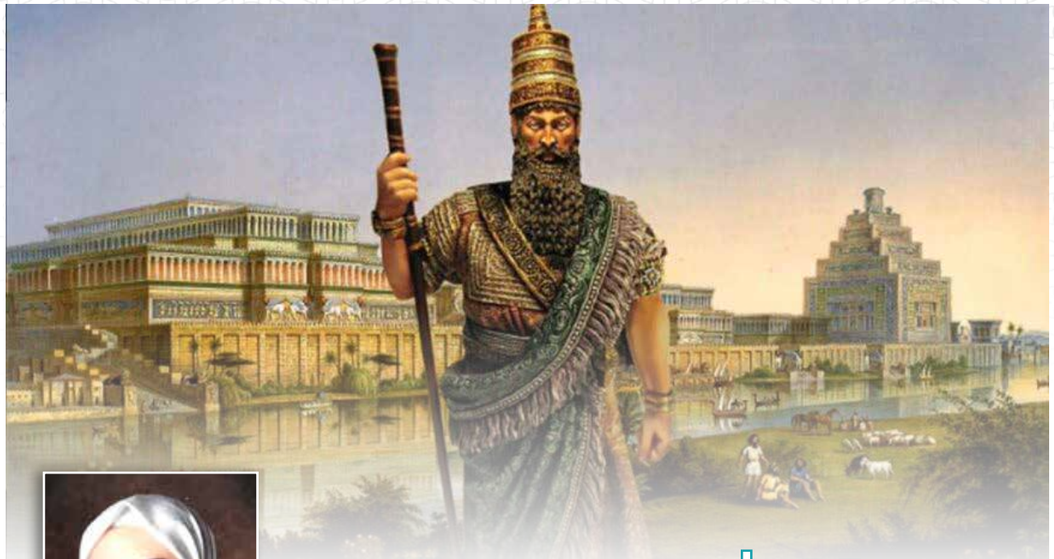

العمارة تراث الماضي والحاضر

حضارات العصور الأولى

وفاء داغستاني
كاتبة – سوريا

حضارة بلاد الرافدين - ما بين النهرين 4000 إلى 612 قبل الميلاد.

إن حضارة ما بين النهرين من أولى المراكز الحضارية في العالم، وتقع هذه المنطقة حالياً في العراق وأطراف سوريا، ما بين نهري دجلة والفرات.

وقد ازدهرت على هذه الأرض حضارات عظيمة منها: الحضارة السومرية والأكادية والبابلية والآشورية وغيرها...

إلا أنها بدأت بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية سنة 612 قبل الميلاد.

هناك عوامل أساسية ساعدت على تكوين العمارة في تلك المنطقة، هي:

عوامل جغرافية: كانت أرض هذه المنطقة خصبة تغمرها المياه، وهي محصورة بين نهري دجلة والفرات، حتى إنه أطلق عليها اسم جنة عدن، فهي منطقة مناسبة جداً للعيش والحياة فيها.

عوامل جيولوجية: كان الطمي ومشتقاته متوافراً في المنطقة، وهو مادة أساسية لعمل الطوب بجميع أشكاله، وتفنن أهل هذه المنطقة في عمل الأشكال الهندسية البديعة، وحرق الطين، وعمل الخزف، استخدم الطين كمادة في البناء، ثم استخدم الآجر، أما في الشمال فقد استخدم الحجر لتوافره فيها.

عوامل دينية: كان الرافديون يعتقدون بتقديس

الأشـخاص، وكانت الآلهة عندهم مقسمة إلى ثلاثة أقسام: إله الجنة، وإله الأرض، وإله السماء، بالإضافة إلى إله الشمس، وإله القمر، وإله الحياة.

وكان لديهم اعتقاد عكس اعتقاد المصريين، حيث إنهم اعتقدوا بأن الأرواح من عمل الشيطان.

عوامل الاجتماعية: في هذه الفترة كان الشعب ينقسم إلى طبقات: طبقة الأشراف هم مالكو الأراضي، والطبقة العامة وهم غير مالكي الأراضي، وطبقة العبيد كانوا يعملون في الزراعة والتجارة، واستخدموا العبيد والرق في فتح القنوات والترع والري وزراعة الأراضي.

العوامل التاريخية: ازدهرت على أرض الرافدين حضارات عظيمة، كالحضارة السومرية والأكادية والبابلية والآشورية وغيرها.

وانقسمت العمارة إلى أربعة عصور، هي:

العصر البابليوني 4000 إلى 1275 قبل الميلاد، لم يعرف كثير عن هذه الفترة، لكثرة تعرضهم للغزو.

العصر الآشوري 1275 إلى 538 قبل الميلاد.

العصر الفارسي 538 إلى 333 قبل الميلاد.

العصر الساساني 312 قبل الميلاد إلى 642 ميلادي.

السومريون 3500 إلى 2340 قبل الميلاد

السومريون هم شعب العبيديون، أول القبائل التي هاجرت إلى جنوب دلتا الفرات، وأنشؤوا فيها المدن، وأهمها (مدينة أور)، وهم من أصل غير السامي، جاؤوا من أواسط آسيا، وسميت الأرض باسمهم أرض سومر، (ولكن حتى الآن لم تفك أحجية أصلهم وجذورهم بشكل يقيني).

اخترعوا الكتابة السومرية، حيث كانوا بالبداية يرسمون على اللبن الطري برأس قصبة، ثم يجفف في الشمس، ويوضع في النار ويصبح آجّر لا تقوى عوامل الطبيعة على إتلافه، ثم تطور الخط من صور إلى رموز وعلامات تحفر في الحجر بأدوات تشبه المسامير؛ لذلك سميت بالكتابة المسمارية.

العمارة السومرية: تميزت العمارة السومرية بإنجازات رئيسة، تشمل الزيقورات والمعابد والقصور.

الزيقورات: هي عبارة عن بناء مدرج، يتألف من عدد من الطبقات يتوجها معبد صغير (وسيلة للاتصال بين السماء والأرض)، وهي تذكرنا في الأهرامات المصرية، ولكن تم استخدامها بشكل مختلف، ولغرضين مختلفين، فالأهرامات كانت عمارة جنائزية وصممت لتكون قبوراً لفراعنة مصر، أما الزيقورات فهي عمارة دينية كمعابد لعبادة الآلهة ولإبعاد شبح الموت والأمراض عنهم، وتعد الزيقورات أول تفوق للعمارة العمودية في فن البناء القديم.

المعابد: كانت تبنى المعابد في هذا العصر إما قرب الزيقورات، ويكون تابعاً لها أو يبنى في مكان خاص بعيداً عنها، فيكون معبداً مستقلاً كانت المعابد تشاد من اللبن بأشكال منتظمة مربعة أو مستطيلة الشكل، يحيط بها سور ضخم له ساحة داخلية مكشوفة صغيرة، يحيط بجوانبها الثلاث غرف لسكن الكهنة، وأماكن لوضع النذور والهدايا. أما الجانب الرابع للساحة، والمقابل للمدخل، ففيه غرفتان، الأولى تهيئ للدخول إلى الغرفة الثانية التي تضم تمثال الإله.

ومن أشهر هذه المعابد: المعبد الأبيض ومعبد آنو

القصور: بنى ملوك هذا العصر قصوراً لهم لم تكن فكرتها كقصور الأكاديين، وإنما كانت عبارة عن مبانٍ إدارية بسيطة وصغيرة، مستطيلة أو مربعة الشكل، محاطة بأسوار ضعيفة؛ لأنها أعدت لاستقبال الملك جماهيره من الناس، ومن أشهرها قصر الحاكم (شو – سن) في تل أسمر.

أما بيوت السومريين فكانت تبنى من الطوب المجفف وخالية من الزخارف.

وقراهم كانت تبنى على التلال.

أشهر مبانيهم برج بابل.

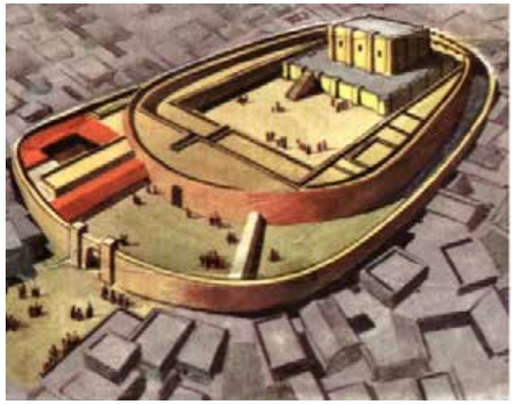

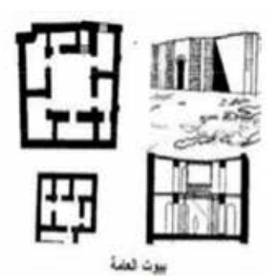

الأكاديون 2340 إلى 2159 قبل الميلاد

الأكاديون هم أول شعب ظهر على مسرح التاريخ، ممن أطلق عليه اسم الساميين الأوائل الذين استوطنوا جنوب بلاد الرافدين، وعرفت أرضهم باسم بلاد أكاد.

ظهر فيهم رجل قوي ماهر في الفنون الحربية اسمه سرجون الأول، تمكن من السيطرة على السومريين، واغتصب العرش، وبنى مدينة أكاد، وأصبحت مملكة، وجعلها مركزاً لحكمه، وهي أقدم مملكة سامية بالمنطقة.

توسعت الدولة الأكادية لتصل إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً، والخليج الفارسي شرقاً.

عمل الأكاديون بالزراعة والتجارة، ونظروا للحياة الأخرى نظرة مظلمة، لهذا لم تكن قبورهم تشيد بقصد الخلود، وكان حب الحياة الدنيا هو اهتمامهم، فشيدوا القصور والقلاع، أما المعابد فشيدوها لاسترضاء الآلهة.

العمارة الأكادية:

واجه الأكاديون فقراً في مواد البناء، فلم تمدهم البيئة بغير الطين وقليل من الخشب،

وفي البناء ابتكروا العقود ليغطوا بها الفتحات الكبيرة، وهذا الابتكار أصبح أساساً من أسس العمارة في بلاد الرافدين.

أهم المباني التي ظهرت في عمارتهم الزيقورات، وتعتبر الزيقورة معبداً تصاعدياً، ينتهي إلى الأعلى بالحرم، وكانت مؤلفة من طبقات عدة، لكل طبقة لون، فالطبقة الأولى في الأسفل باللون الأبيض، تليها طبقة باللون الأسود فالأحمر والأزرق، والطبقة الأخيرة باللون الذهبي.

أما القصور: فكانت على شكل شبه مربع، تحتوي غرف كبيرة وقاعة تتوسطها باحات مركزية، ولكن أبرزها هو قصر نارام سين في تل براك في سورية.

وفي إشنونة قصر الحاكم عبارة عن مجموعة أبنية تؤلف وحدة معمارية مترابطة، محاطة بجدار عريض يوحد بينها، وهو مزود بمرافق صحية كثيرة، ما يدل على كثرة ساكنيه.

استخدم هذا القصر للحكم والإدارة ومقراً للسكن.

العصر السومري الثاني من 2124 إلى 2015 قبل الميلاد

ضعفت الدولة الأكادية، فتمكنت قبائل الجوتي الهمجية (التي تسكن الجبال على الحدود الفارسية) من غزو المملكة الأكادية، وانتصرت عليهم، ولكنهم فضلوا البقاء في الشمال تاركين الحكم للسومريين، هذا ما ساعد على انتعاش السومريين من جديد، فشيدوا الأبنية الدينية العظيمة كالمعابد الفخمة، واستعملوا الطوب الآجري في الجزء الأسفل من البناء، ومن أشهر المعابد معبد الملك أورنامو. أما الزيقورات فكانت عالية ومتعددة المصاطب، تحمل في أعلاها المعبد، وكانت مستطيلة الشكل، وعلى ثلاث طبقات، بشكل هرم مدرج، تنحرف الطبقات إلى الخلف حتى يتاح بناء أدراج من الأمام تصل بين هذه الطبقات، ومن أشهرها زيقورة أور، وزيقورة أوروك.

أما زيقورة أور فهي مؤلفة من أربع طبقات تختلف في الحجم والنسب واللون، وكان اللون يستعمل استعمالاً رمزياً لهذه الطبقات، حيث الطبقة السفلى سوداء، توحي بالعالم السفلي، والطبقة الوسطى الحمراء تمثل الأرض، أما المزار المقدس فلونه أزرق، ويرمز للسماء، والقبة مذهبة وترمز للشمس.

ماري والفن الأموري (العصر البابلي القديم) 2500 إلى 1595 قبل الميلاد

الأموريون: هم شعب قديم ظهر في بلاد الرافدين والجزيرة العربية وبلاد الشام، واستوطنوا في ماري، قادمين من بلاد الشام، وموطنهم الأصلي في جبل بشري غرب مدينة دير الزور اليوم، طالبين الاستقرار وبناء المدن، وقيام الدول، والتخلص من حياة الرعي والتنقل.

اتسم هذا العصر بنشوء ممالك أمورية عديدة، أشهرها مملكة إشنونة في تل أسمر، وآشور وبابل وماري وغيرها.

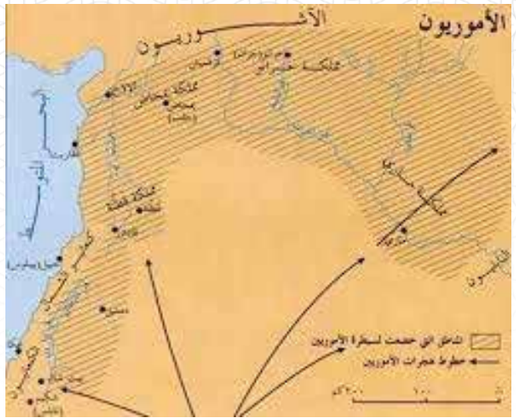

أسس حمورابي الدولة البابلية الأولى، وأقام العاصمة في مدينة بابل، واستطاع أن يوسع حدود دولته شمالاً وجنوباً، فكوّن إمبراطورية كبيرة، شملت آشور في الشمال، وماري وسومر بالغرب، وأكاد وعيلام في الجنوب، وكان سيد المنطقة كلها سنة 1754 ق.م.

ولكن لم يستمر حكمهم طويلاً، بسبب كثرة الحروب، وبسبب ضعفهم، مما ساعد الحثيين على غزو بابل عام 1595، وانتهى عصر الدولة البابلية الأولى التي جعل منها حمورابي أكبر قوة في الشرق الأوسط.

مدينة ماري: تقع في الأراضي السورية (اسمها الحالي تل الحريري)، غرب مدينة البوكمال، على الضفة اليمنى لنهر الفرات.

عندما دخلها الأموريون وجدوا فيها فنوناً مزدهرة كفن البناء والنحت وغيرهما. استفادوا من هذه الفنون وأضافوا عليها أفكاراً جديدة من حياتهم ومعتقداتهم.

من أشهر الأبنية فيها: قصر ماري الملكي كان واسعاً يشبه المدينة الصغيرة التي تحتوي على كل متطلبات الحياة، وكان من أفخم القصور التي شيدت في بلاد الرافدين، حيث إنها تحتوي على أكثر من 300 غرفة وممر وباحة، جدرانها مرتفعة، يحيط بها سور يغلفه بالكامل؛ ليكون ملاذاً يحتمي خلفه سكان المدينة حين يدهمهم الخطر الخارجي.

يوجد في مدينة ماري 25 معبداً، بعضها ضمن القصر، وبعضها خارج القصر، ولقد اقتبست جميع الشعوب الكثير من تخطيط القصر، وجعلته أساساً في بناء مدنها فيما بعد.

محمد صالح النقبي

يحتفظ بتاريخ الآباء والأجداد في متحفه التراثي

دفع حب التراث، والحرص على استذكار ماضي الأجداد، وتعريف الجيل الحالي بالماضي العريق، المواطن محمد صالح النقبي لإنشاء متحف منزلي في مزرعته بمنطقة الزبارة في مدينة خورفكان، قبل أن يتم نقله بتوجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، إلى المنطقة التراثية بمدينة خورفكان، ليكون مزاراً أثرياً وتاريخياً يتردد عليه الزوار والسياح من مختلف الجنسيات.

بكر المحاسنة
صحفي – الأردن

ويضم المتحف مجموعة مميزة من المقتنيات الأثرية والتاريخية النادرة، التي جذبت أعداداً كبيرة من الجمهور والزوّار، سواء من خلال زيارة متحفه، أو من خلال مشاركاته في الفعاليات التراثية والوطنية والثقافية على مستوى إمارة الشارقة، بجمالها وقيمتها التاريخية والأثرية، وقدرتها على الاحتفاظ بملامح التميز، رغم مرور مئات السنين على خروجها من بين أيادي صانعيها.

كما يعكس المتحف بُعد نظر صاحبه، نظراً لقيمة الأشياء التي يحتويها، لكونها تصور جانباً من حياة

الناس ووسائل معيشتهم قديماً، والعادات والتقاليد السائدة، ومدى تعلق أبناء هذه الأرض الطيبة بوطنهم الغالي.

يتضمن المتحف مقتنيات تراثية متوارثة من الأجداد، تتنوع بين الأسلحة والسيوف والخناجر والأواني النحاسية والمعدنية القديمة والعملات والفخاريات، وبعض الأدوات المنزلية المصنوعة من سعف النخيل وجريده، إلى جانب بعض الأدوات الموسيقية والأدوات الزراعية وأدوات الري، وأدوات طرق العلاج قديماً، والعديد من الأدوات التي استخدمها أهالي الجبال وأهالي الصحراء وأهالي البحر قديماً في حياتهم اليومية.

مجلة «مراود» التقت الوالد محمد صالح النقبي، الذي يطلق عليه «رجل تراث خورفكان»، فيقول: منذ أكثر من 50 عاماً وأنا أقوم بجمع هذه المقتنيات والأدوات التراثية الخاصة بالآباء والأجداد، والحفاظ عليها من الاندثار، وأعمل بكل جهدي ليلاً ونهاراً لإحياء التراث الشعبي الإماراتي، وغرسه في نفوس الأجيال الجديدة، لتدعيم التمسك بالعادات والتقاليد الأصيلة، ولتعريف الأجيال التي تزور منطقة الزبارة التاريخية والطبيعية بماضي الأجداد والآباء، وقساوة الحياة التي عاشوها؛ لذلك قمت بإنشاء هذا المتحف التراثي الذي يبرز تراث منطقة الزبارة بخورفكان بشكل خاص، وتراث دولة الإمارات عموماً.

مقتنيات أثرية يتجاوز عمرها ٢٠٠ عام

ويقول النقبي: جمعت في متحفي العديد من المقتنيات والأدوات التراثية، حتى أصبح يضم في إحدى زواياه دلال القهوة ومحاميسها ومواقد النار، وكثيراً من الأواني النحاسية والمعدنية التي كان الأهالي يستخدمونها في الطهي وحفظ الماء، مثل القدور والسعن والصناديق وقربة الماء والخابية المصنوعة من الفخار بأحجام مختلفة، وهناك أيضاً مجموعة كبيرة من الأواني النحاسية التي يتجاوز عمرها 200 سنة، منها طاسة المقفلية، وهي نحاسية، لها غطاء محكم، كانت تستخدم قديماً في حفظ التمور، وإبقائها بحالة جيدة، وهناك الهاون الذي يستخدم في دق البن والهيل وطحنه، وأدوات صناعة الكحل التي أقوم بها بنفسي، من خلال

حجر الإثمد المعروف منذ القدم، حيث أقوم بطحنه باستخدام أحجار قوية، ثم أستخرج منه الكحل ناعماً، ليصلح لزينة العين وعلاجها أحياناً من بعض الأمراض البسيطة، تبعاً للموروث الشعبي في المنطقة.

ومن بين المقتنيات المعروضة بالمتحف، يقول النقبي: هناك حلي نسائية قديمة مصنوعة من الفضة، ونماذج من عطور وزيوت عطرية عرفها أهل الإمارات منذ القدم، وتوجد نماذج من النعال التي كانت مستخدمة قديماً، وكانت تصنع من جريد النخيل، وجلود الحيوانات، ويميز النسائي عن الرجالي بأن الأول فيه لمسات خاصة باستخدام الصوف الملون.

صناعات يدوية إماراتية

ويضيف النقبي قائلاً: يضم المتحف أيضاً العديد من الأدوات التي صنعها الإنسان الإماراتي، واشتقها من البيئة الطبيعية المحيطة به، ومن الحيوان والنباتات لتلبية متطلباته واحتياجاته المتعددة، حيث يضم العديد من أدوات الزراعة وأدوات الخياطة واللباس والأزياء، وأدوات والزينة لاسيما زينة المرأة، والأثاث المنزلي، وأدوات الشرب والطعام والقهوة، وبيت الشَّعر والأدوات الخاصة بالحيوان ونحوها. والأدوات والمقتنيات الخاصة ببعض المهن القديمة التي كان الآباء والأجداد يتقنونها ويعملون بها، خاصة مقتنيات أهل البحر وأهل الجبال.

كما يعرض أحد أركان المتحف الملابس التراثية التقليدية لكل أفراد المجتمع الإماراتي، وبعض المشغولات والإكسسوارات القديمة التي كان يستخدموها آنذاك.

صناعات ومهن تقليدية

ويؤكد النقبي أنه لايزال يمارس العديد من المهن التقليدية القديمة التي ورثها على الأجداد والآباء منذ الصغر، حيث إنه مازال يمارس مهنة صناعة الأحذية الخشبية التي تعرف بين الأهالي بـ«القرحاف»، كما يقوم بصناعة السيوف والخناجر بالأساليب القديمة، كما يمارس طرق العلاج القديمة، ويمارس أيضاً مهنة صناعة الإسمنت الأبيض الذي يتم بالطرق القديمة، من خلال استخدام حفرة عميقة بالقرب من الساحل البحري للمنطقة، تسمى «المهكة»، من خلال استخدام جذوع أشجار النخيل، ومحار اليشم الأبيض، وحرقها بالحفرة.

نقل التراث الإماراتي إلى العالمية

وعن الأسباب التي دفعت الوالد النقبي لإنشاء المتحف، يقول: الهدف الأبرز هو التوعية بإرث الأجداد، والانفتاح على العالم، حيث يتوافد سنوياً العشرات من الزائرين الأجانب من مختلف البلدان إلى المتحف، حيث يعتبر فرصة كبيرة لنقل صورة واقعية وعن قرب للتراث الإماراتي للسياح والزوار، وإبراز مدى اهتمام أبناء هذه الأرض الطيبة بوطنهم، واعتزازهم بهويتهم وتاريخهم المجيد، ففي النهاية إذا لم نقم نحن الآن بحفظ تراث الأجداد، فمن سينقله إلى الأجيال اللاحقة؟!

طه حسين وشغف القراءة

في «أيام الشارقة التراثية»

إيهاب الملاح
مدير تحرير سلسلة «عالم التراث» الصادرة عن معهد الشارقة للتراث

كرنفال سنوي حقيقي هذا الذي تشهده الشارقة الأصيلة والحبيبة في أيامها التراثية الخصبة، التي جاوزت مداها المحلي والقطري والخليجي، بل العربي، لتتسع وتستوعب وترحب بثقافات وموروثات وتراثات الأمم والشعوب الأخرى في أرجاء العالم أجمع.

ما بين عامي 2017 (زيارتي الأولى لأيام الشارقة التراثية) و2022 (الذي أتشرف بالمشاركة في فعاليات دورته الحالية وضمن أنشطته الباذخة والخصبة)، يظهر الأثر الواسع والكبير، وتتعدد الدلالات الرائعة التي يمكن استشفافها وتحديدها فيما يحدث على أرض هذا البلد الطيب، بوعي حكامه الكرام، وحبهم وإخلاصهم لبلدهم وشعبهم، من تسارعٍ غير مسبوق في التحديث والنهوض، ونشر العلوم والمعارف والآداب والفنون، والاعتناء بكل ما هو أصيل وجميل، وصونه ونشره.

جاءت الدورة التاسعة عشرة من «أيام الشارقة التراثية» تحت عنوان «التراث والمستقبل»؛ وهو عنوان دالّ كل الدلالة على التوجه الأصيل للشارقة، حكومة وشعباً ومؤسسات واعية؛ بأن الخيار الحر الحقيقي في هذا العالم المضطرب هو الخيار الذي يقوم على استيعاب وتحقيق هذه الثنائية الثقافية والحضارية الدقيقة؛ ثنائية «التراث والمستقبل»، أو بصيغة أخرى «الأصالة والمعاصرة»، تلك التي لا تتخلى عن ماضيها وتراثها العريق، وخصوصيتها الثقافية والحضارية، وفي الوقت ذاته ترنو بأعينها إلى المستقبل الواعد وآفاقه الرحبة، المتطلعة إلى التواصل مع الآخر والإفادة من المنجز البشري والإنساني، وإشاعة قيم التسامح، وقبول الآخر، ونبذ التطرف والتعصب، والإيمان بوحدة الإنسانية.

أجمل ما في «أيام الشارقة» هذه الروح الإنسانية الصافية التي تغمر الجميع.. فلا يهم مَن أنت، أو مِن أين، أو ما جنسيتك.. المهم ماذا ستقدِّم من إبداع أو فن أو معرفة

أو علم؛ كي تسعد الناس وتفيدهم وتمتعهم في آن.. لغة واحدة فحسب يفهمها الجميع في كل مكان تخطو فيه على أرض الشارقة، ترسم البهجة على الوجوه؛ لغة الفن والإبداع والابتسامة التي يتصافح بها الضيوف في أرجاء ساحة التراث بقلب الشارقة، وبين قاعاتها وساحاتها الخارجية أو في مثيلتها بكلباء أو خورفكان أو دبا الحصن أو الذيد..

أما المحاضرات والندوات العلمية، فجمعت في جلساتها نخبة من أميز وأرقى الباحثين المتخصصين في التراث الثقافي المادي وغير المادي على السواء؛ فالاستماع إلى باحثة كبيرة وأستاذة جليلة بقيمة الدكتورة نجيمة طاي طاي من المغرب، أو الدكتورة نارين جريجوري من النمسا، أو الدكتور حمد بن صراي من الإمارات، أو لباحث جاد ودؤوب وصاحب مشروع حقيقي مثل الدكتور منِّي بونعامة، دينامو إدارة المحتوى والنشر بمعهد الشارقة للتراث.. أقول إن الاستماع إلى كل هؤلاء متعة خالصة، فضلاً على العمق والابتكار في طرح أوراقهم البحثية وطروحاتهم وفرضياتهم المنهجية التي تغطي كل جوانب التراث والمستقبل، ورؤى حفظ التراث وصونه في كل مكان في العالم، فتحية للإبداع الشعبي وللتراث والمعرفة الإنسانية في كل زمان ومكان.

على المستوى الشخصي، وضمن فعاليات أيام الشارقة التراثية، وبجناح مركز التراث العربي، تشرفت بإلقاء محاضرتي الأولى بعنوان (طه حسين.. 125 عاماً من النهوض العربي)، الإثنين 14 مارس، وللأمانة فقد فوجئت بردود الأفعال والاستجابات على المحاضرة وموضوعها، والأفكار التي أثارتها؛ لم أكن أتوقع أن تكون الاستجابات عالية وصادقة وحماسية بهذا الشكل؛ حضور كريم من كل الأعمار، وبخاصة من شباب الباحثات بمعهد الشارقة للتراث، وقد أبدين اهتماماً، واستمعن بتركيز عالٍ، ومنهن من سألت عن المزيد والمزيد عن طه حسين وكتبه وأعماله؛ وهذا وحده يرضيني ويسعدني غاية الرضا والسعادة. وقد شرفني بالحضور واللقاء أستاذنا الدكتور أحمد مرسي، والصديق العزيز الدكتور أحمد البهي؛ نائب رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب، وتوجني الدكتور شريف شاهين عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة بحضوره، وأخجلني بجميل ثنائه وتعقيبه، وحماسته الصادقة.

ثم جاءت محاضرتي الثانية بعنوان «من شغف القراءة إلى مشاغبات مع الكتب.. في ماهية النشاط المعرفي للقراءة»، التي عُقدت في الأربعاء 16 مارس، لتحظى بدورها باستجابات رائعة وفائقة، لم تقل إن لم تزد على محاضرتي الأولى، استجابات ومشاركات لم أتوقعها الصراحة، وتحظى هي الأخرى بحضور نخبة من المثقفين والفنانين العرب والمعنيين بالتراث وقراءته وحفظه وصونه، وقد بهرتني مشاركات السادة الحضور من أسئلة ومشاركات شرّقت بنا وغرّبت في سماء المعارف والفنون والآداب؛ إن شغف الحضور والإقبال الكبير وغير العادي على الاستماع باهتمام وتركيز ومشاركة فعالة وإيجابية تعني لي الكثير على كل المستويات.

أما ثالث الفعاليات التي شرفت بالمشاركة فيها، فكانت صدور الكتاب الثاني من سلسلة «عالم التراث»، تلك السلسلة المعرفية التي لطالما حلمت بها وبإصدارها منذ سنوات طويلة؛ وقد ظهر الحلم للنور قبل شهرين في القاهرة، وضمن فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب، في دورته المنقضية بحضور وفد رفيع المستوى، يترأسه سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، وعقد مؤتمر صحفي للإعلان عن صدور السلسلة والتعريف بها، وخطتها وعناوينها المقرر

صدورها والتي تغطي السنة الحالية 2022. وأظن أن القليل من التفصيل والإيضاح حول هذه السلسلة مطلوب وضروري.

وفي القاهرة، قبل شهرين فقط، وضمن فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الثالثة والخمسين، وبحضور نخبة من المثقفين المصريين والعرب والمهتمين بالدراسات التراثية، وفي القلب منها الفنون والآداب الشعبية، أعلن الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، تدشين هذه السلسلة التي تُعنى بإعادة إصدار كنوز وروائع الدراسات التراثية عامة، والثقافة الشعبية خاصة، المؤلفة والمترجمة معاً، بمعدل كتاب واحد في الشهر، ويتعهد كاتب هذه السطور بتقديمه وإعداده للنشر بمقدمات جديدة مستفيضة، تشرح للقارئ أهمية الكتاب وقيمته في حقل الدراسات التراثية والإنسانية، ولماذا نستعيده الآن، ونصدر منه طبعة جديدة تلبي حاجة الباحثين والمتخصصين في حقل الدراسات، وكذلك تلبي حاجة القارئ غير المتخصص المحب والشغوف بقراءة هذه الكتب، وأنا على يقين أن جمهور هذا اللون من المعرفة يقدر بآلاف الآلاف (إن لم يكن يتجاوز الملايين) في كل أنحاء عالمنا العربي.

وقد لمست بنفسي أصداء الإعلان، والمطالبات بتوفير كتب السلسلة في كل أنحاء العالم العربي وفي عواصمها كافة، وأن يتم طباعة ونشر العدد الذي يلبي الطلب من إصداراتها، وقد أعلن الدكتور عبدالعزيز المسلّم في هذا الصدد أن المعهد سيعمل خلال الفترة القليلة القادمة على تيسير كل الإجراءات، وعقد الاتفاقات مع الهيئات والمؤسسات الرسمية في الدول العربية، لتوفير طبعات داخل كل بلد عربي بسعر مناسب لأبناء كل بلد.

ومن المنتظر وخلال الأشهر القادمة أن تتوالى أعداد السلسلة - بمشيئة الله - لتقدم للقارئ العربي في كل مكان؛ عناوين مختارة ومنتقاة من الدراسات والمؤلفات التراثية المؤلفة والمترجمة معاً، على أن يكون التركيز بالأساس في إخراج الدراسات التأسيسية والكتب المرجعية التي لا غنى عنها للقارئ العربي العام، والمتخصص على السواء.

وإن كان هذا لا يعني أن السلسلة كلها ستكون إعادة طباعة أو صدور كتب سبق لها الظهور، بل ستكون هناك كتب جديدة تظهر للنور للمرة الأولى في السلسلة، وبالأخص من التراث غير المنشور لكبار الأساتذة والمثقفين والمعنيين بالدراسات التراثية عامة، والثقافة الشعبية خاصة، على سبيل المثال ستشهد السلسلة بمشيئة الله ظهور بحوث ودراسات لم تنشر للعلامة محمود علي مكي في الدراسات الأندلسية، وكذلك للمرحوم عبدالعزيز الأهواني أيضاً.

ندعو الله أن تكون هذه السلسلة نبراساً لأبناء العربية ومثقفيها، وفي خدمتهم، وأن تلبي طلبهم وشغفهم بتراثهم العربي والإسلامي الزاخر والأصيل.

وأخيرًا.. لقد كانت أمسيات «أيام الشارقة التراثية» رائعة بكل ما فيها، والشكر كله للصديقة العزيزة الأستاذة عائشة الحصان، مديرة مركز التراث العربي، على دعوتها وحفاوتها وتقديرها واهتمامها، ولأخي وصديقي الدكتور مني بونعامة، مدير إدارة المحتوى والنشر بالمعهد، ولكل الأصدقاء والأحباب في الشارقة الأصيلة الجميلة.

وأخيراً وليس آخرًا، فالشكر والمحبة الموصولة دائماً وأبداً للمثقف الكبير سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، الذي لا أتردد لحظة في اعتباره حقاً وصدقاً أحد صنَّاع نهضة الإمارات العربية الحديثة، وأحد أعلام نهضة الفنون والآداب وصون التراث وحفظه بالشارقة الحبيبة.

الأمير.. وذات العيْنيْن الخَضْرَاويْن

شهرزاد العربي

في مملكة «بومبلان» ـ حيث يقولُ الكتّاب الصينيُّون: إنها كانت موجودة منذ عشرين ألف عام ـ كان هناك أمير أجمل من النهار، حباه الله بكل النّعم، حيث زاده بسْطة في الجسم، وقدرة في العلم دون الحاجة إلى معلّم، حتّى إن علماء وكُتّاب عصره كان يأخذون مشورته في كتاباتهم، وكان يفعل ذلك دون أن يفتح كتاباً، كما كان ينظم قصائد دون عناء، وباختصار كانت له العديد من المواهب التي لا تخطر على البال.

ولاشكَّ في أن ملكاً شابّاً بهذه الصفات الجماليّة، واسمه «بامبويان» ـ يعني في الصينية: «الذي يغطي الشّمس»، قد ذاعَ صِيْتُه حتّى وصل إلى الممالك البعيدة، وجلب الجميع نحوه، ورغِبَ كل الملوك في مصاهرته، وأرسلوا بناتهم في أجمل حلة حتى ينْلنَ إعجابه.

وكثرت من حوله الفتيات الجميلات، الأمر الذي أوقعه في حيرة من أمره، فأيٌّ منهن يختار، وأخيراً استقرَّ رأيه على الجميلة «نانهوا» ملكة التنانين الحمر.

بدأت التجهيزات لحفل الزواج وسط غيرة بقية الأميرات وسخطهنَّ أيضاً، وقد كان للأمير شغف بالفئران، يضعها في أقفاص من ذهب مزينة بالماس والياقوت، ومختلف أنوع الأحجار الكريمة، ومع تلك الفئران كان يقضي كل يوم أربع ساعات يتأملها.

بعد انتهاء حفل الزفاف، عاد العروسان إلى القصر، وعندما مدَّ الأمير يده إلى عروسه ليجلسها على الكرسي، ظهرت أمامه فجأة فأرة بيضاء بعينين خضراوين، كانت تلعب هناك.

سبق للأمير أن ملك فأرة رماديَّة، وأخرى حمراء، وكذلك بيضاء بعيون صفراء، وكم تمنَّى أن تكون عنده فأرة بيضاء بعيون خضراء، وها هي تظهر أمامه الآن، فنزل إلى الأرض يريد الإمساك بها، لكنها أفلتت منه. في الحقيقة لم تكن تلك الفأرة البيضاء سوى جِنيَّة أرسلتها إحدى الأميرات من المغتاظات من زواج الأمير بغيرها.

وكم كانت صدمة الأمير كبيرة باختفاء الفأرة ذات العينين الخضراوين! وبحث عنها في كل ركن من أركان الغرفة، لكن دون جدوى، وساعدته زوجته الأميرة في البحث عنها، لكن لم يسفر ذلك عن شيء.

وعندما يَئِس من إيجادها، قال:

ـ أنا مستعدٌّ أن أمنح نصف مملكتي، وأميرتي أيضاً للشخص الذي يحضر لي ذات العينين الخضراوين.

كانت زوجته الأميرة حكيمة، حاولت بشتَّى السُّبل أن تواسيه، وتخرجه من حالته تلك، ورغم هذا فقد قرر ألّا يَبْقى لحظة واحدة في هذا القصر، ما دام لم يجد الفأرة البيضاء ذات العينين الخضراوين.

وانتشر خبر المكافأة في المملكة كلها، ولم يعد للناس من اهتمام سوى نصب الفخاخ، والبحث عن الفأرة، وعُقِدَ مجلس الأمير للبحث في الأمر مرات عدة، لكن لم يصل المجتمعون فيه لأيِّ حلّ.

وتطوَّع بعض الرعية للمساعدة، حتى لو دفعوا أعمارهم ثمناً لذلك، وحين لم يُجْدِ ذلك نفعاً، قرّر الأمير الخروج بنفسه للبحث عنها، واجتاز وديااناً وجبال وأنهاراً، لكن لا أثر لها.

وذات يوم عندما نال منه التعب، جلس يريد الاستراحة تحت ظل شجرة موز، حجبت أوراقها عنه شمس الهجير، وفكره مشغول بأمر الفأرة، فرأى امرأةً ذميمةً، تتقدَّم نحوه بظهرها المُنْحني، وتجاعيد وجهها تجعل النَّاظر إليها يقول: إن عمر هذه المرأة لا يقل عن خمسة قرون، ونادته:

ـ بامبوبان.. ما الذي أتى بك إلى هنا، بعيداً بأميال وأميال عن مملكتك؟ وعمَّ تبحث؟ وما الذي يجعلك تسافر آلاف الأميال نحو مملكة النمل؟

قصَّ عليها الأمير قصّته ثلاث مرّات؛ لأن سمعها كان ثقيلاً، وطلبت منه إعادة الرواية مرّات ومرّات، ثم قالت له تلك العجوز، التي لم تكن سوى جنيّة:

ـ أنا سأمنحك الفارة البيضاء ذات العينين الخضراوين، وفي الحال، لكن بشرط.

قال لها:

ـ حتى لو كان عندك ألف شرط.. فأنا أقبل.

أوقفته قائلة:

ـ إنما هو شرط واحد، وليس بالشّرط الصعب، وهو: عليك أن تتزوَّجَني.

صُدم الأمير بالشرط، ورغم أنه كان يَتُوق إلى امتلاك الفأرة البيضاء ذات العينين الخضراوين، إلا أنه تردّد في إعلان جوابه، وطلب مدة للتفكير.

رفضت الجنيَّة العجوز إعطاءه مهلة للتفكير، وكانت مستعدة لسحب عرضها، والمضي إلى حال سبيلها، وضربت برجلها الأرضَ، وقالت:

ـ لتأتي عَربتي، فـ«برباسولا» ملكة النمل، ليس من عادتها أن تسمح لأحد أن يفكِّر في أوامرها.

وما إن انتهت من كلامها، حتى ظهرت من العدم عربة يجرها «حلزونان»، وكانت ستغادر على متنها حتّى أوقفها الأمير، وهو يفكر في الفأرة، وقد نسي نانواه. ركع عند قدمي الجنيَّة، وطلب منها السماح، وأعلن موافقته.

وبعد عقد القران، وانتهاء الحفل كان الأمير يتحرق شوقاً لرؤية الفأرة، وذَكَّر عروسه بوعدها، فقالت له:

ـ في الحقيقة يا عزيزي، أنا هي الفأرة البيضاء، التي رأيتها في قصرك، ولك الاختيار بين أن أكون فأرةً في النهار، وامرأةً في الليل، أو العكس.

احتار الأمير في الاختيار، فطلب المشورة من قطّ كان يرافقه منذ خروجه من قصره، وقد سبق له أن أطربه بحديثه، وأفاده بنصائحه، وفي واقع الأمر لم يكن ذلك القط سوى الأميرة نانواه نفسها، التي تحولت على يد الجنيَّة إلى قط، حتّى يتسنّى لها أن تكون إلى جانب أميرها.

اقترحت عليه أن تَبْقى امرأة في النهار، وتتحوّل إلى فأرة في المساء، وعندما غابت الشمس تكاسلت برباسولا عن تذكر وعدها، لكن الأمير كان حريصاً على رؤية الفأرة البيضاء، وبمجرد أن حصل التحول، بدأت تلعب وتجري هنا وهناك لإمتاع الأمير، الذي كان في مُنْتهى السعادة، وطلب منها أن ترقص، وبدأ يغني لها، وما إن خطَت خطوات قليلة، حتى قفزت عليها الأميرة نانواه ـ التي تتكرت في زي قط ـ وابتلعتها، ثم عادت إلى حالتها الطبيعية.

وهنا أدرك الأمير أنه كان طوال الوقت تحت مفعول السحر، وقد كان هذا هو السبب وراء سعيه المحموم للحصول على الفأرة البيضاء، وعرف كم كان هذا مُهيناً له، وطلب من زوجته مسامحته، فسامحته، وعادا معاً إلى المملكة، حيث كانا سعِيدَيْن، ولم ينسيا الدرس، الذي تعلَّماه.

الحرير شاهدٌ على التاريخ الصيني

الكاتبة: رغيدة تشانغ كه يينغ
المترجمة: غدير هوان ليو
المراجع: جمال بن علي آل سرحان

الحرير هو أح د أقدم الاختراعات في تاريخ الصين، مثلهُ مثل الاختراعات الأربعة الكبرى في الحضارة الصينية القديمة، كان له تأثيرٌ عالمي، وقد ظهر الحرير في فترة حضارة ما قبل التاريخ، ومثل رمزاً للثقافة الصينية القديمة، وقدم إسهاماً جليلاً لا يمحى في تطور الحضارة الإنسانية في العالم، ومنذ ذلك الحين، انتشر الحرير في جميع أنحاء العالم، واستمر البشر في صناعة مجموعة متنوعة من الأقمشة الحريرية الرائعة، والحرف اليدوية الجميلة لآلاف السنين.

فخلال عملية انتقال الحرير إلى العالم، أنشأ الشرق والغرب «طريق الحرير»، على طريق أوراسيا الرئيس لأول مرّة، الأمر الذي فتح الباب أمام كل منهما للآخر، ووسع نطاق المعرفة حول العالم، وأوجد تفكيراً متفتحاً، وعقلاً جاداً، وبعث روحاً تجاريةً لم يسبق لها مثيل، ومن خلاله أيضاً وجد البشر طريقهم إلى المستقبل.

يشتهر الحرير الصيني في جميع أنحاء العالم بخصائصه المميزة وجودته الممتازة، وألوانه الرائعة، ودلالاته الثقافية الغنية. وحتى يومنا هذا لايزال واحداً من أجمل الأقمشة وأكثرها مراعاة للبيئة.

ليس الحريرُ مُجرد ملابس باهظة الثمن فحسب، بلْ هو جسر للتبادلات الخارجية بين الصين والبلدان الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الحرير أدى وظيفة تبادل العملات أيضاً، فقد أشارت السجلات التاريخية لأسرة هان الشرقية (25–220م) إلى هذه الوظيفة لأول مرة، حيث تم تداول الحرير والعملات المعدنية في الوقت نفسه، ولكن على النقيض من العملات المعدنية التي كانت بمثابة مكافآت وسيطة، فإن الحرير حقق تبادلاً مادياً عينياً مكافئاً (معادلاً). وفي عهد أسرة تانغ (618–907م) ، كان الحرير يُنتج في الصين، وكانت الخيول في المناطق الغربية وفيرة جداً، وكلتاهما كانتا سلعتان يتم التبادل بهما، ما أدى إلى تدفق السلع من الصين وإليها.

يتمتع الحرير بمكانة خاصة جداً في الحياة الاجتماعية

الصينية. فمن ناحية، فالحرير يجمل ويغذي حياة الشعب الصيني. فالساتان الحريري الناعم الجميل يزين ملابس الرجال والنساء والأولاد، وأفرش المنازل، والأماكن العامة مثل القاعات والمعابد، والمكاتب، والمستلزمات القرطاسية مثل الكتب القديمة واللوحات. فحتى القطع الصغيرة مثل المناديل، والحقائب، والمحافظ والأشياء الصغيرة الأخرى، يمكن العثور على آثارٍ من الحرير عليها. ومن ناحية أخرى، فإن صناعة الحرير من دودة القز، وحياكته هما العمود الرئيس للاقتصاد الريفي الصيني، ولاسيما في الجنوب، وفي الوقت نفسه، تعتبر من أهم مصادر مداخيل وإيرادات الصين التجارية المالية الخارجية، والتي تلعب دوراً مهماً في بناء الاقتصاد الوطني.

الشارقة موطن التراث

د. منّي بونعامة
مدير التحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

تتمتّع إمارة الشارقة بشخصية ثقافية فريدة ورائدة، حقّقت لها تراكماً تاريخياً مهماً، وشهرة واسعة على مستوى العالم، وجعلتها وجهة عالمية للثقافة والسياحة الثقافية، لما يجده السائح فيها وبين ربوعها وجنباتها من معالم تاريخية ذات امتداد تاريخي موغل في القدم، ومراكز ثقافية وترفيهية عصرية، تستقطب الزوار من شتى أنحاء العالم، ومن مختلف الثقافات والفئات العمرية، فضلاً عن نهضة الإمارة الباسمة العمرانية والحضارية، التي حوّلتها دوحةً وارفةَ الظلال، يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان، ويؤمّها المبدعون والمفكرون وأصحاب الأموال والأعمال من كلّ حدب وصوب.

وتعدّ الشارقة من أوائل إمارات الدولة التي عكفت على ترميم المعالم التاريخية والمباني التراثية، تنفيذاً للتوجيهات السامية من صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله، وكانت البداية في قلب الشارقة النابض، حيث المعالم والشواهد الباقية من القرون الخالية، لاتزال شاخصة تحيل إلى ماضيها الجميل، وتراثها الأصيل، ثم توسع نطاق العمل في التراث، وتم تقديم الصون العاجل للعديد من المباني التاريخية، والمواقع التراثية، وإحيائها من خلال أعمال الحماية والترميم والإحياء، للمحافظة عليها من عوادي الزمن وعوارض الاندثار.

وشملت المشروعات التي تمّ الشروع فيها وإنجازها في هذا السياق، معالم تاريخية، ومباني تراثية، في الشارقة والمنطقتين الوسطى والشرقية، تتوزّع ما بين العمارة المدنية كالبيوت، والدفاعية مثل الحصون والقلاع والأبراج والأسوار، والدينية كالمساجد، والتجارية كالأسواق الشعبية، والتعليمية كالمدارس.

إن اهتمام الشارقة، موطن التراث، ومركز الحضارة والإشعاع الثقافي، بهذا الجانب المهم من العمارة التقليدية، ممثلة في شكل أحياء الشارقة القديمة ومناطقها التراثية المتوزعة في كل من الذيد، وخورفكان، وكلباء، ودبا الحصن، ينمّ عن رؤية متكاملة، ووعي شامل بأهمية التراث الثقافي، ضمن صميم المشروع الثقافي الإحيائي للإمارة الباسمة، وهذا ما جعل الشارقة بحق حاضنة التراث، وعاصمته وموطنه، ففيها تتكامل كل صور الأصالة والعراقة، ومنها تفوح نسائم الماضي، ورائحة التراث.

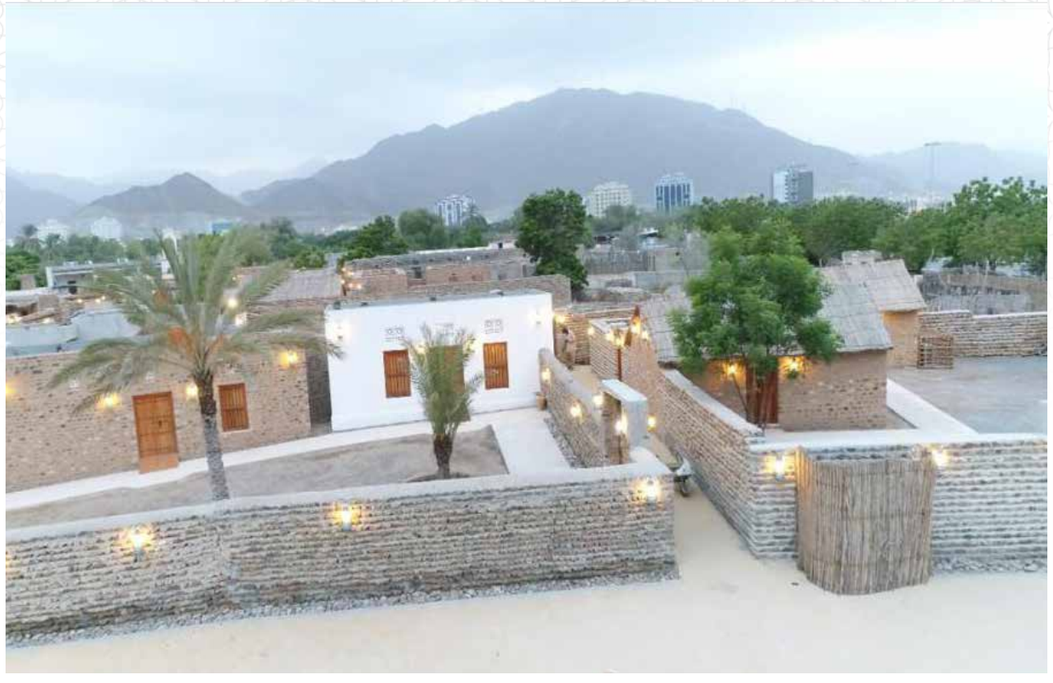

The old Sharjah, including its houses, forts, markets and museums were in the forefront of the places that needed protection and restoration such as Al Bait Al Gharbi, Bait Al Serkal, Bait Al Naboodah, Sharjah Fort, Souq Al Arsah, Souq Al Shanasiyah, Souq Al Tumer, and Souq Saqr, along with the mosques and schools that were - and still are - in general, retaining in its alleys and between its sides the smell of authentic heritage. These places further represent the memory of those who lived in the area that embraced their childhood and their first upbringing.

The next phase of restoration and maintenance projects included landmarks and buildings in the central and eastern region (Al Dhaid, Fali, Kalba, Khor Fakkan), where the Al Dhaid Fort, Fley, Kalba Fort, Sheikh Saeed bin Hamad Al Qasimi House, the Heritage Fort neighborhood, and some heritage buildings were restored. Within the Khor Kalba project, the heritage houses in Khorfakkan were also restored, within the heritage area project, in addition to the Sidra neighborhood in the Luluiya area.

In this issue of Maraoud magazine, we present to the honorable reader an integrated picture of the major heritage projects implemented by the Institute, under the patronage and support of His Highness the Ruler of Sharjah in the central and eastern regions, and highlight their role in reviving the place and its extended memory.

The issue also includes articles and a variety of heritage and cultural approaches, which provide readers with fun and interest.

Publishing Policy

The “Marawed” magazine is basically concerned with the Emirati cultural heritage in the first place, then the Arab and international ones. It seeks through its sections to focus on the heritage matters that are characterized by novelty, objectivity, diversity and comprehensiveness, by researching, documenting, studying and scrutinizing.The magazine is also working on tracking the manifestations of the cultural heritage in the Emirati and Arab creative works through celebration, utilization and invocation of its various elements and symbols.
Further, it focuses on the cultural, heritage and media topics that touch on various aspects of cultural heritage, including professions, crafts, games, tales, costumes, adornments, ornaments, arts, music, and everything related to the branches and elements of the cultural heritage, locally, Arab and globally.

The materials to be published should meet the following:

- Novelty and originality, and never previously published or submitted for publishing in other magazines.
- Objectivity in presentation and credibility in addressing.
- The integrity of the language, the smoothness of style.
- Scientific documentation and rights of quotation.
- Abidance by the moral principles, respect of religious sanctities, decency and the public taste.
- High quality and high-resolution images.
- Artistic and objective order according to the vision of the magazine’s editorial board.
- The editorial board has the right to rephrase the materials, whenever this is necessary, in line with the publishing policy, and with the appropriate media presentation for readers.
- The editorial board is not obligated to explain the reasons for refusing to publish a material or returning it.
- The views, thoughts, and opinions expressed in the text belong solely to the author, and not necessarily to the magazine.
- Articles and posts are received on the magazine's e-mail: marawed@sih.gov.ae

Contact:
0097165014898 - 0097156792727
marawed@sih.gov.ae

Memory and Landmarks of Sharjah

The Emirate of Sharjah owns multiple historical sites and heritage houses, which still retain the memory of the place, its ancient history, and its rich and diverse heritage.
The Sharjah Institute for Heritage has been working on restoring historical monuments and heritage buildings, fulfilling directives of His Highness Sheikh Dr. Sultan Bin Mohammed Al Qasimi, Supreme Council Member and Ruler of Sharjah, which aim to preserve and revive the historical buildings and heritage sites. The restoration works covered the emirate›s landmarks, heritage houses, old markets, mosques, and schools.